غيض
من فيض ذكرياتي
مع مدرسة المرس

لحسن بن محمد انرز

8 يونيو 2020

المحتويات

إهداء 6
توطئة 8
شكر وتنويه 11
المقدمة 13
1- بطاقة تعريفية بالمدرسة وبروادها ومن جاء بعدهم،
منذ البداية ولغاية الموسم الدراسي 1963-1964؛ 16
1-1- الانطلاقة: 16
1-2- قاعة التدريس الأولى: 16
1-3- الإسم: 17
1-4- الرواد من التلاميذ: 18
1-4- 1- من أيت علي: 18
1-4- 2- من أيت مخشون: 18
1-4-3- من أيت أحمد: 18
1-4- 4- من أيت لقايد: 19
1-4- 5- من أيت يوسف: 19
1-4- 6- من أيت لحسن: 19
1-4-7- من إخزيزن: 19
1-5- صعوبة تفويج المتمدرسين الرواد ومن جاء بعدهم: 19
1-5-1- طول المدة الفاصلة بين اليوم وذلك الزمان، 19
1-5-2-إغفال خاصية من خصائص التأريخ للحقب الدراسية، 19
1-5-3- كون المدرسة عبارة، كما سبقت الإشارة، عن قاعدة وحيدة بمستويات متعددة. 19
1-6-المتمدرسين بعد رواد الفوج الأول: 20
1-6- 1- فمن أيت مخشون: 20
1-6-2- ومن أيت يوسف: 20
1-6-3- ومن أيت أحمد إجرغني: 20
1-6-4- ومن المرس بكل أرجائه بما في ذلك أبناء جنود ما يعرف ب"القشلة"...: 21
1-7- الأطر التربوية: 21
1-7-1- المعلمين: 21
1-7-2- المدراء: 21
1-8-المتمدرسون خلال فترة أكتوبر 1959 – يونيو 1964: 22
1-8-1- توطئة حول الظروف التي تم فيها التحاقي بالمدرسة: 23
1-8-2-محاولة تذكر أسماء الأطر التربوية ومن جمعتني
بهم الزمالة الدراسية خلال تلك الفترة؛ 25

1-8-2-1-الأطر التربوية: 25

1-8-2-1 -2- المعلمين: 28
1-8-2-1 -2- 1- أنني اقتصرت فقط على أسماء من أعرفهم : 28
1-8-2-1 -2- 2- أنه نتيجة للتحولات الطارئة المذكورة : 28
1-8-2-1 -2- 2- 1-فلم يعد هناك وجود
فعلي لقاعة الدرس المتعددة المستويات 28
1-8-2-1 -2- 2- انتقل عدد المعلمين من واحد إلى ثلاثة، 28
1-8-2-1 -2- 2- 3- ازداد عدد المتمدرسين، 28
1-8-2-1 -2- المدراء: 28
1-8-2-1 -3- القيمون: 29
1-8-2-1 -4- زملاء الدرس والتحصيل: 30
1-8-2-1 -4- 1- فمن أيت أحمد: 31
1-8-2-1 -4- 2- ومن أيت يوسف: 31
1-8-2-1 -4- 3- ومن أيت لحسن: 32
1-8-2-1 -4- 4- ومن بري أو من الجوار: 32
1-8-2-1 -4- 5- ومن أيت مخشون: 32
1-8-2-1 -4- 6- ومن المرس الأعلى: 32
1-8-2-1 -4- 7- ومن المرس الأسفل بما فيه أبوبشرن و... بما يعرف ب"لقشلة": 32

2- بعض الأحداث والوقائع الراسخة في ذاكرتي عن الفترة المدروسة: 33
2-1- ذكريات الدرس وما يرتبط به: 34
2-1-1- "بيداغوجية" الحطبات : 34
2-1-1-2- انغراز الريشة في رأس زميل بدلا من المحبرة: 34
2-1-1-3- المطعمة: 34
2-1-1-4- أول "إضراب" دون معرفة مفهومه ومغزاه: 35
2-1-1-5- زبدة المساعدات الدولية: 35
2-1-1-6- التحميلة / الفلقة: 36
2-1-1-7- هدية مرفوضة: 37
2-1-1-8- قصعة المعلم أوالرحيل ومشاكله: 37
2-1-1-9- حروف وكلمات عنيدة: 37
2-1-1-10- نماذج من الأنشطة الترفيهية: 38
2-1-1-10- 1- مضمار التزلج على الجليد: 38
2-1-1-10- 2- تقليد طائر الحجل في التعشيش ووضع البيض: 38
2-1-1-10-3- لعبة أو رياضة التسديد بكرة التنس: 38
2-1-1-10-4- التراشق بالمياه في عاشوراء: 39
2-1-1-10-5 – نشيد الوداع: 39
2-2- ذكريات الطريق إلى ومن المدرسة: 40
2-2-1- الاحتطاب: 40

2-2 -2- الرهان والتحديات: 40
2-2-3- سلوكات لم تعد مقبولة: 41
2-2- 4- الخوف والتخويف: 43
2-2-5- عربة من إنتاج محلي: 46
2- 3- ذكريات أهم الأحداث على صعيد المنطقة خلال الفترة المدروسة: 47
2- 3-1- جريمة نكراء هزت أركان القبيلة: 47
2-3-2- حادثة سير مروعة: 54
2-3- 3- الزيارة الملكية: 54
2-3-4- كذبة "قائد" (رجل السلطة): 55
الخاتمة 63
بطاقة تعريفية بالكاتب 66

توثيق متواضع لفترة دراستي بالمدرسة العمومية بالمرس.

اللهم إن وفقت، فمن فضلك وإحسانك وجودك وكرمك وتوفيقك،

وإن كان غير ذلك، فاكتب لي التوفيق في غيره.

إهداء:

إلى فلذات كبدي، أولادي وأحفادي،

وإلى أقربائي ومعارفي وأصدقائي الأعزاء، وإلى قدماء زملائي في الدراسة الكرام، وإلى كل القراء المحترمين

1

2

3

4

5

الصور: لحسن بن محمد انرز
1 – 4 = صيف 2014؛
5 = أبريل 2012

توطئة :

يقول المثل العربي :"رب صدفة خير من ألف ميعاد"

صحيح، لولا الصدفة لما خرجت هذه المحاولة للتأريخ للمؤسسة التعليمية الأولى بالمرس إلى الوجود!!! فهي لم تكن مقصودة لذاتها، بمعنى لم تكن مستهدفة في إطار برمجة مقصودة قبل 7 مايو 2020، وإن كانت فكرتها تراودني من حين لآخر.

ففي ذلك التاريخ تلقيت دعوة "فيسبوكية" للانضمام إلى مجموعة ما يسمى:

"Les anciens de l'école sidi ali ben yahya "، المنشأة حديث.

وكعادتي، لا أتسرع في قبول دعوات الصداقة ممن لا أعرفهم حق المعرفة، وإنما أتركها في وضعية الانتظار لحين الفصل فيها بناء على ما يستقر عليه الرأي. وفي انتظار ذلك، ومحاولة مني لأخذ فكرة عن نوعية أعضاء المجموعة وتوجهات منشوراتهم، اطلعت على بعض من تلك المنشورات ومن بينها، وبمحض الصدفة، مدونة صاحب الدعوة. ومن بين ما جاء فيها، بعد سرد مجموعة من الأسماء لقدماء المدرسة المذكورة، ومن بينهم اسم انيرز لحسن، ما يلي: "هادو جاو فعهد لامبا والفتيلة وموندا كروش ولا سيكون...وما عندهومش تصاور...ما فيها باس نذكروا بهم... هذا ما جادت به ذاكرتي... وإن خانتني في أحدهم فاستسمح..."، (هؤلاء من زمن الإنارة بالفانوس الزيتي والفتيلة ومشروبي "كروش"، و"لا سيكوني" الغزيين... وليس لديهم صور (يقصد الصورالتذكارية)... ولا بأس أن نذكر بهم... والباقي مفهوم).

وما أن وقعت عيناي على اسم "انيرز لحسن"، حتى ظننت أنني المعني. ولم يخلد ببالي أبدا أن المقصود الحقيقي هو ابن حفيد عم الوالد رحمة الله عليهم جميعا. وما كنت لأقع في ذلك الغلط والخلط لو لم أتوصل بالدعوة من الشخص المذكور مرتين:

- الأولى بغرض قبوله كصديق. وبالفعل فقد تم ذلك، لا عن معرفة سابقة، وإنما اعتمادا على ما تتضمنه لائحة أصدقائه ممن أعرفهم حق المعرفة، بناء على المقولة المشهورة: "صديق صديقي، صديقي، وعدو عدوي صديقي"؛
- والثانية، بقصد الانضمام إلى المجموعة السالفة الذكر، والتي تسببت في سوء الفهم، وفي الأخير أدت إلى اكتشاف السبب المفضي إلى ذلك.

وإن كان هناك من درس أستخلصه من هذه الواقعة، هو أن "الفيسبوك" وما شابهه، وكما نسب إلى المرحوم سيدي عبد الرحمن المجدوب، "سوق مطيار"، يستوجب بالفعل من كل "داخل له أن يرد باله".

ولكن، قدر ربنا وما شاء فعل، فـ "رب ضارة نافعة". فلو تحرى كل واحد منا حق التحري واستفسر عن صاحبه قبل قبول صداقته، لما وقع ما وقع، ولما حدث ما حدث من "استفزاز" كان بمثابة الشرارة التي انطلق منها هذا العمل المتواضع. وهذه من غرائب وعجائب "الصداقة الافتراضية الفيسبوكية".

وباختصار شديد، فقد تمكنا بحول الله وقوته من التواصل بيننا بواسطة الهاتف. وبذلك، اتضحت الأمور، وزال اللبس وعرف كل واحد منا صاحبه معرفة واقعية لا افتراضية.

وأنتهز الفرصة لأجدد اعتذاري للأخ الكريم، الذي كان سببا في دخول هذه المغامرة المتعلقة بمحاولة "التأريخ" لمدرسة المرس، واستسمحه عن كل ما قد يلحقه من أذى جراء ما كتبته في مدونتي المعنونة ب"رسالة..." بتاريخ 8 مايو 2020 الموجودة على الرابط التالي :

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=917723382024557&id=100013607104507&__cft__[0]=AZWRfVn87luac9ZMpSX9HEI7uyQFaThzDupYxc-iZs0pmzlTJmGDQJcc90RW9zw6dS0GoGEqzt79mdBAQBQ6el41JMUwWTECaNbNnpeNupm40DOSmhAQ_aSSyU8HD_O6w1g&__tn__=%2CO%2CP-R

هذا هو السر الذي كان وراء هذه البذرة، التي يمكن اعتبارها بمثابة نفض الغبار عن جزء من ذواكر عدد منا بخصوص المؤسسة التي نتحدث عنها، والتي نتشرف اليوم بوضعها رهن إشارة القراء الكرام، آملين أن نتمكن مستقبلا، أو إيرنا، من تنقيحها وإثرائها أو تعديلها إذا اقتضى الحال ذلك.

شكر وتنويه

روي، مرفوعا، عن أبي هريرة رضي الله عنه: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"،

الشكر الجزيل والتقدير الفائق والامتنان العظيم والعرفان بالجميل للذين أثروا هذا العمل المتواضع بمعلوماتهم، أو إقراراتهم، أو تصحيحاتهم. وأقدر عاليا وأثمن مجهودهم في هذا الصدد. وهذه أسماؤهم الكريمة:

من أيت مخشون:
السيد محمد أفتيس (عقيد Colonel متقاعد)؛
السيد سعيد بن أحمد بولحرمل (مقدم Lieutenant Colonel متقاعد)؛
السيدة عائشة بنت لحسن أمخشون؛
السيد الحسين بن عقى بوتالوزت سابقا وأفتيس حاليا (تقني فلاحي متقاعد)؛
السيد لحسن بن حمو فريدي(نقيب Capitaine متقاعد)؛
السيد محمد بن الحسين بوعجب (أستاذ متقاعد)؛
السيد محمد بن محمد إجروساون (أستاذ متقاعد)؛
السيد حدو بن أحمد بولحرمل (ضابط متقاعد)؛
السيد محمد بن يوسف لمشرع (جندي متقاعد).

ومن أيت أحمد:
السيد علي بن محمد تردوست، من إجرغني؛
السيد الحسين بن لحسن اوعمرو من إجرغني؛
السيد الحسين بن علي السغروشني من تاغزوت؛
السيد أحمد (بوحميد) المشهورمن تاغزوت؛
السيد الحسين بن محمد إجرمـــ (ي)(ا).

ومن أيت علي:
السيد أحمد بن بها لغشيم (متقاعد)؛
السيد أحمد بن إدريس التفاحي.

ومن أيت طالب علي:
السيد محمد بن لحسن أرشيدي (متقاعد من القوات المساعدة).

ومن أيت لحسن:
بها أو بهى ماثري بصفة غير مباشرة عن طريق سيدي محمد بوعجب السالف الذكر.

ومن أيت يوسف:
السيد محمد بوشدار.

كما حاولت الاتصال بمولاي لحسن أمولاي ساكا /ساشا، الذي يعد من أيضا من قدماء هذه المدرسة، ولكن بدون جدوى، سيما وأن له، وهذا ما لا يعرفه ربما الكثير من الناس، السبق في محاولة التأريخ للمدرسة التي نحن بصدد الحديث عنها.

وقد جمع كل ذلك في ملف رقمي مضغوط تحت مسمى"Ecole d'El Mers-3"، باللغة الفرنسية. وقد تناول فيه عدة مواضيع مرتبطة ببعضها تحت عنوان:
"L'école d'autrefois / 1949-2009". وإذا لم تخني الذاكرة، فقد سبق له أن نشره ضمن محتويات الصيغة الفرنسية ل" بوابة المرس الإلكترونية www.elmerss.c.la ، التي لم يعد رابطها يشتغل. وهو يشتمل على العديد من المعلومات القيمة، قد تتاح الفرصة لمن لم يطلع عليه أن يكتشف محتواه.

ومن حسن الحظ، أنني تمكنت من العثور، ضمن ربائدي (أرشيف Archive) الإلكترونية، على نسخة من ذلك الملف، كان قد أهداها لي، جازاه الله خيرا، في وقت سابق. ولكن مع الأسف لم أجد التفاصيل الخاصة بتاريخ إحداث تلك المدرسة، ولا بخصوص الرواد من التلاميذ الذين درسوا فيها، ولا فيما يخص الأطر التربوية التي تعاقبت عليها.

كما أنوه بالذين تفاعلوا مع ما تم نشره من أجزاء من هذا البحث على الصفحة "الفيسبوكية" Lahsen Inirz، وخصصوا لقراءتها، على الرغم من أحجامها التي تفوق بكثير ما هو معهود في منشورات فضاء "الفيسبوك"، مددا لا يستهان بها من أوقاتهم الثمينة. وبذلك أبانوا وأثبتوا أنهم بالفعل أصدقاء مخلصين، لا "عرضيين". وأقصد بهم السادة والسيدات الآتية أسماء صفحاتهم الفيسبوكية، مرتبة بدون أية خلفية، وإنما بحسب ما سمح به النقل واللصق من لوائح التفاعل:

Driss Benlgharras	Boutallouzt Lahcen
الحسين والشيخ	Hassan Elmrsawi
الحسين اوعمرو	Ali Blh
Bendriss Idrissi	Teffahi Lhoussine
Abdellah Bassam	Mohamed Idnizem
Ali Acharchour	يوسف بن شنوف
علي الادريسي الاحمدي	Bouchidar Mohamed
Mohamed Oucheikh	مصطفى بن أحمد عزوزي
Ouassi Wassi	Abdeljalil Aboulmajd
El Houssaïn Oucheikh	Abdellah Inirz
Mohamed Bouaajeb	ادريس ابن عبدالرحمان
Zouhire Zouhire Frhane	Hassan Amirstar
Alumenium Skoura	Houssine Tarhda

Mohamed Teffahi	كلشي ربي هو
Driss Makhchouni	كوكيتا المخشونية
Mostafa Abboud	طاطي تامينا
Mostafa Aridal	ليلى بودهكيت
Hamza Oucheikh	أم هاني
Med Ajerd	مريم فردوس
Rachid Ajrad	ريحانة
Mohamed Tallouzt	

المقدمة:

يمكن تعريف الحاضر على أنه برهة مؤجلة من الماضي، وأن كل لحظاته وما يحدث فيها، بمثابة مشاريع مذكرات مستقبلية. ولذلك، فيجب صرف المزيد من العناية لتلك اللحظات وتوثيقها توثيقا محكما، حتى لا يضطر، كما هو الحال بالنسبة لما نحن بصدده بخصوص "مدرسة المرس"، للتنقيب عنها في دهاليز الذواكر ومحاولة تجميع شتاتها وإعادة تركيبها في صورة، مهما بذل في سبيلها من جهد، لن تكون صورة طبق الأصل.

ومع الطفرة الهائلة التي تعيشها اليوم وسائل وأشكال التعبير، فلا أظن أنه سيبقي هناك من عذر لتبرير أي نقص محتمل قد يلحق ضبط العموميات والتفاصيل في المستقبل لأي عمل تاريخي.

وكما هو معلوم، فكل عمل بحثي أكاديمي جدي يهدف البلوغ إلى نتيجة ما أو نتائج معينة. وهو لا يتم إلا وفق منهج يستدل به ويسير على ضوئه وتنتظم فيه خطواته. ونحن في محاولتنا للتأريخ لمدرسة المرس، لا نسعى إلى تقديم عمل "تاريخي أكاديمي"، مما يستدعي التقيد بمنهج ضابط ومضبوط من قبل "المنهج التاريخي الذي يهدف إلى مراجعة ودراسة حوادث ومظاهر الماضي وتصحيح الحقائق حولها، للاستفادة من الماضي في توجيه الحاضر والمستقبل، أو تطوير الحاضر من الفَهم الصحيح للماضي"، وإنما لتحرير وتوثيق ما تيسر من معلومات حول المؤسسة المذكورة، وذلك حفظا للذاكرة الفردية والجماعية الخاصة بها وبالمنطقة التي تتواجد فيها، وصيانة كل ذلك من الضياع والاندثار بموت ما تبقى ممن عايشوا "الفترة المدروسة"، باعتبار كل ذلك تراثا محليا لا ماديا يجب صيانته وادخاره لأجيال الحاضر والمستقبل.

والمقصود بـــ "الفترة المدروسة" في الفقرة السابقة، هي الفترة الممتدة من تاريخ انطلاق الدراسة في إطار المدرسة العمومية بقرية المرس إلى أواخر الموسم الدراسي 1964/1963. وهذا التحديد من اختيار كاتب هذه السطور، لا لشيء إلا لأنه الفترة التي تهمه في المقام الأول باعتباره من الرعيل الذي درس في تلك المدرسة خلال الفترة الممتدة من الموسم الدراسي 1960/1959 إلى الموسم الدراسي 1964/1963.

ومن خصوصيات تلك الفترة، ولاسيما فيما يتعلق بموسم 1960/1959، أنها تعايش فيها التلاميذ الجدد مع ما تبقى من التلاميذ المخضرمين الذين ولجوا المدرسة في عهد الاستعمار، ولم تسعفهم الظروف السياسية والأمنية المتلاحقة على استكمال دراستهم الابتدائية. فكما هو معلوم، فالفترة الممتدة من 20 غشت 1953(بداية منفى سلطان البلاد محمد الخامس، رحمه الله)، شهدت توترات، قبل أن تتطور فيما بعد إلى انعدام الأمن، وخاصة بعد انطلاق عمليات جيش التحرير ضد المستعمر في 2 أكتوبر 1955 وما تلاها إلى أن حصل المغرب على الاستقلال.

ومع الأسف، فلم تكن السنوات الأولى للاستقلال بأفضل حال من سنوات نهاية الاستعمار. وما الأحداث المؤلمة التي شهدها خريف/شتاء 1959/1958، التي سنعود إليها بنوع من التفصيل في الجزء المخصص للذكريات، إلا أكبر دليل على ذلك.

وانطلاقا مما سبق، فإن الفترة المحددة هي المرحلة التي تحتاج لمثل هذه الدراسة ليس فقط لأنها الأساس الذي قامت عليه هذه المؤسسة، ولكن أيضا لكونها المرحلة التي قد تكون الأفقر من حيث التوثيق المدون. وأمام انعدام المصادر المكتوبة وغياب المستندات الموثوقة، فلا يمكن تفويج المتمدرسين بالدقة المطلوبة وتحديد تواريخ التحاقهم بالمدرسة. والذاكرة مهما بلغت من الحدة والضبط فلا يمكن الركون إليها لوحدها والبناء عليها للفصل في أمور التحاق ومغادرة التلاميذ للمدرسة. وهذا ما تأكد من خلال أقوال المستجوبين. ومرد ذلك في نظري، إلى أمور سوف نتعرض لها لاحقا بنوع من التفصيل.

وبناء على ذلك، فسيتم الاقتصار فقط على جرد أسماء المتمكن من معرفتهم لحد الساعة دون الاهتمام بتواريخ التحاقهم وانفصالهم عن المؤسسة التعليمية المذكورة، وذلك في انتظار ما قد تجود به الأيام في هذا الشأن.

وفيما يخص المراجع و"المنهجية" المعتمدة، ونظرا لعدم التوفر على الوثائق المكتوبة، فقد تم الاعتماد على ما حفظته ذاكرة الكاتب وذواكر الذين تم الاتصال بهم هاتفيا، وخاصة فيما يتعلق بالجزء المتعلق بالنشأة وبالرواد، وذلك من خلال سرد الأحداث والتعليق عليها عند الضرورة، مع الاستطراد، كلما اقتضى نظر الكاتب ذلك لتوضيح بعض الجوانب التي من المظنون أنها غير واضحة أو غير معروفة أصلا. أما بخصوص الجزء المتعلق بالذكريات، فمصدرها، في الغالب، ذاكرة الكاتب Lahsen Inirz، مع الاستعانة، وخاصة فيما يخص الاستطرادات التاريخية بما هو مكتوب في المؤلفات عن الحقب المعنية بها، من خلال ما هو موجود على الروابط الإلكترونية المتاحة للعموم على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنيت).

وتتكون هذه "الدراسة"، علاوة على المقدمة، من قسمين يخصص:

ـ أحدهما، للتعريف بالمدرسة وبروادها ومن جاء بعدهم، منذ البداية ولغاية الموسم الدراسي 1963-1964؛

ـ والآخر، للأحداث والوقائع الراسخة في ذاكرتي عن الفترة المدروسة.

ولمساعدة القارئ الكريم على الاحتفاظ بالخيط الرابط بين مختلف أجزاء، ومقاطع، وفقرات هذين القسمين بصفة خاصة، وبين جميع مكونات هذا البحث بصفة عامة، بالتالي تسهيل عملية الرجوع إلى كل ذلك عند الحاجة، فسوف نعتمد في الترقيم والتنسيق على ما يعرف بنظام الترقيم العشري Le système décimal. والذي يقتضي تخصيص كما هو معروف رقم 1 للجزء ثم 1- 1- لجزء الجزء و1-1-1- لجزء جزء الجزء وهكذا دواليك كلما دعت الحاجة لتقسيمات وتجزيئيات أخرى، وذلك كما يتضح من المثال التالي:

1- بطاقة تعريفية بالمدرسة وبروادها ومن جاء بعدهم، منذ البداية ولغاية الموسم الدراسي 1963-1964:

1- 1- الإنطلاقة:
1-2- قاعة التدريس الأولى:
1-3- الإسم:
1-4- التلاميذ الرواد:
1-4-1- من أيت علي:

1- بطاقة تعريفية بالمدرسة وبروادها ومن جاء بعدهم، منذ البداية ولغاية الموسم الدراسي 1963-1964؛

1-1- الانطلاقة:

بحسب مولاي أحمد أبها لغشيم، السالف الذكر، فالدراسة وفق المناهج المعتمدة من الدولة المغربية تحت الحماية الفرنسية، قد انطلقت في الموسم الدراسي 1946-1947 بصفة إجبارية. وقد كان ذاك في إحدى قاعات البناية العمومية المخصصة لتدبير شؤون المنطقة، والتي كانت، ولا زالت، تعرف باسم"البيرو"، الذي كانت ترتعد منه فرائص الناس. وقد تم ذلك بصفة مؤقته في انتظار لإقامة منشأة خاصة بالتدريس وفق المعايير المعتمدة آنذاك والانتقال إليها. بينما يذكرالسيد بهى ماثري، وبحسب ما نقله عنه السيد محمد بن الحسين بوعجب، أن ذلك قد تم سنة من قبل، أي في الموسم الدراسي 1945-1946.

1-2- قاعة التدريس الأولى:

بحسب دائما مولاي أحمد أبها ألسالف الذكر، فقد تم سنة 1948، الانتهاء من تشييد مركب تربوي يتكون من قاعة للتدريس، قابلة تدريجيا لاستقبال أقسام متعددة بمستويات مختلفة (قسم التحضيري، وقسم الابتدائي الأول، وقسم الابتدائي الثاني، وقسم المتوسط الأول)، ومطعم وإقامة للمدرس، وساحة مصورة.

أما بخصوص مكان التشييد، أي بالضبط في الزاوية الظاهرة في الصورة أسفله التي وثقتها في أحد أيام صيف 1914، وبالتدقيق في الموضع الذي غرست فيه بعض الأشجار التزيينية التي تظهر من ورائها مختلف المساكن المقامة خلف سور المدرسة من الناحية الغربية، ومن ورائها مرتع ما يعرف بـ"تَغْرُوتْ ثَزِرَارْثْ" (الكثف الطويل)، فقد أقر ووافق على ما سبق للسيد محمد أفتيس أن صرح لي به بهذا الخصوص.

ومن جملة ما قاله السيد أفتيس حول هذا الموضوع، أن تشييد المدرسة المذكورة، التي أصبح اليوم مجرد ذكرى لمن تعلم فيها بعدما تم محوها من خارطة ساحة "مجموعة مدار سيدي علي بن يحيى، قد تم في المكان الذي كان مخصصا أصلا للسوق الأسبوعي، الذي كان يقام هناك بعدما انتقل إليه من مكانه الأصلي فيما يعرف حاليا بالمرس "وافلا"، أي المرس الأعلى. وقد تم تصوير الكل بصور مما يعرف ب"اللوح"، مما اضطر معه السوق مرة أخرى إلى الانتقال شرقا إلى الحديقة التابعة ل"البيرو"، والتي كانت مسيجة بسياج من الأسلاك الشائكة.، قبل أن يصور المكان هو الآخر بصور على شكل مستطيل تتخلله بعض الأبراج، وخاصة في زواياه الأربع وعلى يمين مدخله الرئيسي، وعدد من الدكاكين التي كانت بمثابة متاجر عدد من اليهود الذين رحلوا لاحقا عن المرس، وتؤول من بعدهم لعدد من أبناء المنطقة.

ومع الأسف، فإن تدهور حالة المدرسة قد بدأ مبكرا بعد الإهمال الذي طالها بعد فترة الاستعمار. وقد بدأ التدهور من السقف حيث تتسرب منه المياه في الأيام الممطرة والمثلجة، مما يحتم أحيانا اللجوء إلى التدريس مرة أخرى في إحدى قاعات "البيرو"، والتي تتواجد على يمين الصورة بالنسبة للمشاهد، والتي على ما يبدو وبحسب منظرها الخارجي، أنها أصبحت مسكنا أو ما شابه.

(على يمين الصوة، القاعة التي كانت خلال مواسم الدراسة من 1960/1959 -1964/1963 ملاذا لمتابعة الدراسة هربا من تسرب مياه الأمطار والثلوج من سقف قاعة الدرس الرسمية)

1- 3- الإسم:

تعرف تلك المؤسسة التربوية منذ نشأتها باسم "مدرسة المرس". وقد حافظت على ذلك الاسم رغم زوال الاستعمار وبزوغ فجر الاستقلال، وظلت تحمله لعقود قبل أن تسمى لاحقا "مجموعة مدارس سيدي علي بن يحيى"، قبل أن يتم التخلي عنها بعد تشييد ما يعرف ب،"المدرسة الجماعاتية" في مكان آخر نحو الشرق وبالضبط بجانب "دار الطالب".

اليافطة المعلقة على الباب الرئيسي ل"مجموعة مدار سيدي علي بن يحيى"

1-4- الرواد من التلاميذ:

من الذين تكونت منهم النواة الأولى للتدريس العمومي بالمرس، خلال الموسم الدراسي، 1945-1946، أو 1946- 1947، حسب اختلاف الروايتين المبينتين أعلاه، السادة:

1- 4 – 1- من أيت علي:

1-المرحوم إدريس بن أحمد التفاحي، نجل المرحوم الشيخ أحمد بن علي ، حيث قضى فيها 3 سنوات بحسب ما نقل عنه ابنه الكريم مولاي أحمد وأفادنا به مشكورا؛
2-أحمد بن بها، المكنى لغشيم ، بحسب ما صرح به شخصيا؛
3- لحسن بن محمد أيوجيل، بحسب مولاي أحمد لغشيم؛
4-محمد بن سعيد بوضربات، بحسب مولاي أحمد لغشيم ؛
5-محمد بن أحمد بن سعيد، بحسب مولاي أحمد لغشيم ؛
6- ...

1-4- 2- من أيت مخشون:

المرحوم محمد بن أحمد بن العربي بولحرمل، من أيت مخشون، بحسب سيدي محمد أفتيس. وقد يكون هو المعلم الأول الذي درس بمدرسة إفقيرن أيت عبد الله، قبل أن ينتقل إلى قرية با محمد للعمل في إطار المراقبة الضريبية. وقد وافته المنية، رحمه الله، صبيحة عيد الأضحى لسنة 1958 وهو لا زال في ريعان شبابه. وقد كان متزوجا ومالكا لسيارة من نوع Jeep، حينما كانت السارات عملة نادرة بالمنطقة. وبذلك يكون أول سيارة شخصية لمخشوني تمر عبر طريق بوخاموج منذ شقها حوالي 1946 ميلادية للتنقل بها من وإلى أيت مخشون.

1-4- 3- من أيت أحمد:

1-المرحوم أحمد بن سعيد بن رحو من إجرغني، بحسب سيدي محمد أفتيس؛
2- سعيد امحمد ، حسب السيد بهى ماثري؛

1- 4- 4- من أيت لقايد:
عبد المالك بن سعيد بلقايد، بحسب مولاي أحمد لغشيم ؛

1-4- 5- من أيت يوسف:
1-سعيد بن الشيخ أحمد، من أيت يوسف، بحسب سيدي محمد أفتيس، ومولاي أحمد لغشيم، وسيدي بهى ماثري ؛
2-بوعزة من أيت يوسف، حسب مولاي أحمد لغشيم؛
3-المرحوم محمد المشهور في حياته بأبن عقى المكنى بباشرا، بحسب مولاي أحمد لغشيم والسيد بهى ماثري؛

1-4- 6- من أيت لحسن:
1- محمد أعلي نعلي أحمو، من أيت لحسن، بحسب السيد بهى ماثري؛
2- سعيد نعلي، من أيت لحسن، بحسب السيد بهى ماثري؛

1-4-7- من إخزيزن:
محمد ابن علي أخزيز، من إخزيزن، بحسب السيد بهى ماثري؛

وحتما هناك غير هؤلاء من أبناء الأعيان وباقي أبناء القبيلة، قد تتاح الفرصة لاستكشافهم لاحقا إن شاء الله.

1-5- صعوبة تفويج المتمدرسين الرواد ومن جاء بعدهم:
وكما هو معلوم، فإن انعدام المصادر المكتوبة وغياب الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها، فلا يمكن تفويج المتمدرسين بالدقة المطلوبة وتحديد تواريخ التحاقهم بالمدرسة. والذاكرة مهما بلغت من الحدة والضبط فلا يمكن الركون إليها لوحدها والبناء عليها للفصل في أمور التحاق ومغادرة التلاميذ للمدرسة. وهذا ما تأكد من خلال أقوال المستجوبين. ومرد ذلك في نظري، إلى أمور أهمها على الخصوص:

1-5-1- طول المدة الفاصلة بين اليوم وذلك الزمان، ما يقرب من ثمانية عقود، مما قد يؤثر على الدقة في استعادة الأحداث والوقائع بعمومها وتفاصيلها؛

1-5-2-إغفال خاصية من خصائص التأريخ للحقب الدراسية، ألا وهي خاصية عدم تطابق السنة الدراسية مع السنة التقويمية العادية. فالسنة الدراسية، أو ما يصطلح عليه عادة بالموسم الدراسي، ينطلق في آخر سنة تقويمية ليستكمل مداه في السنة الموالية. وعليه، فقد يغفل البعض جزءا من عمر ذلك الموسم، فيقتصر إما على مبدئه أو على منتهاه، للتأريخ لمنطلق مساره الدراسي؛

1-5-3- كون المدرسة عبارة، كما سبقت الإشارة، عن قاعدة وحيدة بمستويات متعددة. وبالتالي، تختلط فيها المستويات وتتعايش فيما بينها، وربما لمدد طويلة بحسب ما تقتضيه ظروف الانقطاعات وإعادة الالتحاق نتيجة أحداث أمنية أوسياسية أو أحوال عائلية ومعيشية.

وبناء على ذلك، فسيتم الاقتصار فقط على جرد أسماء المتمكن من معرفتهم لحد الساعة دون الاهتمام بتواريخ التحاقهم وانفصالهم عن المؤسسة التعليمية المذكورة، وذلك في انتظار ما قد تجود به الأيام في هذا الشأن.

1-6-المتمدرسين بعد رواد الفوج الأول :

وبعد هذه التوطئة التي كان لا بد منها، نمر إلى ذكر من أتى بعد رواد الفوج الأول مبتدئين بمن نعتقد أنهم الأسبق ثم بالموالين ثم بمن بعدهم إلى أن يصل الأمر إلى الموسم الدراسي الذي التحق فيه عبد ربه بركب المتمدرسين، أي الموسم الدراسي 1959-1960، كما سبق الذكر بذلك. ومن أولئك، من تأتي أسماؤهم موزعة، قدر المستطاع، بحسب الفروع النسبية التي ينتمون إليها:

1-6- 1- فمن أيت مخشون:

- السيد محمد بن امحمد، المكنى لاحقا محمد أفتيس؛
- المرحوم السيد محمد بن محمد، المقدم المكنى لاحقا انرز محمد؛
- المرحوم السيد لحسن ألحسين، المكنى لاحقا أجرد لحسن ألحسين؛
- المرحوم السيد الحسين أبن عقى، المكنى لاحقا أبن عقى الحسين؛
- السيد سعيد أبن علا، المكنى لاحقا تالوزت سعيد.
- السيد سعيد بن أحمد بولحرمل؛
- السيد الحسين بن عقى بوتالوزت سابقا، أفتيس لاحقا؛
- السيد سعيد بن لحسن أمخشون؛
- السيدة عائشة بنت لحسن أمخشون؛
- السيد عبد الله بن محمد أوالشيخ.

1-6-2- ومن أيت يوسف:

- السيد أحمد بن سعيد، المكنى لاحقا أحمد أيوجيل؛
- المرحوم السيد الحسين بن علي، المكنى لاحقا بوشدارالحسين؛
- المرحوم السيد الحسين بن محمد الطاوسي؛
- السيد لشمين (الإسم الشخصي لم يتذكر)؛
- محمد بن لحسن أضرغال؛
- وغير هؤلاء...

1-6-3- ومن أيت أحمد إجرغني:

- السيد أحمد أعمرو؛
- السيد تمهماشت (الإسم الشخصي لم يتذكر)؛
- السيد لحسن بن مولاي؛
- السيد محمد بن زنو؛
- وغير هؤلاء...

1-6-4- ومن المرس بكل أرجائه بما في ذلك أبناء جنود ما يعرف ب"لقشلة"، والتجار:

- المرحوم السيد عبد الله بن محمد أيوجيل؛
- المرحوم السيد حمو بن أحمد التفاحي؛
- السيد محمد أعبيد، أردوز؛
- السيد لحسن أعبيد أردوز؛
- السيد علي بن عبد الله أردال؛
- السيد لحسن بن عبد الله أردال؛
- المرحوم السيد محمد بن الشيخ محمد أعمر مسكرا؛
- آنذاك الآنسة ، حانة (من الديانة اليهودية)؛
- آنذاك الآنسة مسعودة (من الديانة اليهودية)
- السيد سعيد بن بها لغشيم،
- السيد علي بن بها لغشيم
- المرحوم السيد سعيد بن محمد أعراب؛
- السيد علي بن محمد أعراب
- السيد سعيد بن الحسين ملوكي؛
- المرحوم السيد محمد بن امحمد تغزة سابقا، السبعاوي لاحقا؛
- السيد عبد الله بن أحمد بن سعيد المعروف آنذاك بـــ" مجنون" أو " المجنون"؛
- السيد محمد ألحسن ألهواري؛
- السيد محمد أسعيد أزچاغ؛
- وغيرهم....

1-7- الأطر التربوية:

1-7-1- المعلمين:

وبخصوص، المعلمين الذين تعاقبوا على التدريس في مدرسة المرس منذ انطلاقها إلى بداية الاستقلال، فإن أولهم، بحسب السيد بهى ماثري هو السيد محمد أحمو من أيت حمو / بولمان، ثم تبعه السيد الحسين أعلي من انجيل.

و بحسب إفادات بعض الذين أخدوا عنهم، ومنهم السيد محمد أفتيس، والسيد أحمد لغشيم ومولاي لحسن أمولاي، فمن مدرسي "مدرسة المرس"، خلال الحقبة المذكورة، ، السيد الزكاني من صفرو، والسيد لعروسي، والسيد محمد بن عقى أيحيى إبن القبيلة من أيت يحيى.

1-7-2- المدراء:

أما بخصوص المدراء، فلم يحفظ منهم إلا اسمي السيد جي (ربما Guy أو ما شابه) ودوكوان Ducoin.

بعد هذا الجرد المقدم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر للزملاء الذين كان لهم شرف السبق إلى الدراسة ضمن الأفواج المتعاقبة على مدرسة المرس خلال حوالي عقد من حياتها،

والذي تم خلال المدونات الثلاث السابقة، نشرع في الحديث عن الفترة التي تشرفت فيها بدوري بالجلوس في صفوف الدراسة في نفس المدرسة والتي امتدت من الموسم الدراسي 1959-1960 إلى غاية الموسم الدراسي 1963-1964.

1-8-المتمدرسون خلال فترة أكتوبر 1959 – يونيو 1964:

وسوف أتحدث، بحول الله وقوته، عن هذه الفترة من خلال عدة نقط أهمها:

1-8-1- توطئة حول الظروف التي تم فيها التحاقي بالمدرسة؛

1-8-2-محاولة تذكر أسماء الأطر التربوية ومن جمعتني بهم الزمالة الدراسية خلال تلك الفترة؛

1-8-3-بعض الأحداث التي رسخت في ذاكرتي عن تلك الفترة،...

1-8-1- توطئة حول الظروف التي تم فيها التحاقي بالمدرسة:

شكلت بداية هذا الموسم، الذي انطلق كما جرت العادة مع مستهل شهر أكتوبر، الحد الفاصل بين تعليمي الأولي في مسجد مسقط رأسي ببلدة أيت مخشون، وبداية مساري الدراسي في المدرسة العمومية، والذي استمر لغاية الموسم الدراسي 1979-1980.

وبطبيعة الحال لكل داخل دهشة رغم أنني لم أكن لوحدي، بل دخلت معي أختي عائشة وأخي المرحوم مولاي سعيد، إضافة إلى زملاء آخرين من أيت مخشون. ومع ذلك كان الأمر، شيئا استثنائيا بكل المقاييس وهَمّاً لا يطاق. كيف لا، وقد خرجت من الدائرة المعروفة المألوفة ودخلت إلى دائرة مجهولة. دائرة تبعد عن دواري بحوالي سبع كيلومترات. كان علينا، أنا ومن معي، قطعها مرتين في اليوم ذهابا وإيابا، في كل الظروف وفي كل الأحوال، مشيا على أقدام شبه حافية، وبلباس ممعن في الزهد والترفع عن كل ما يمس بالترف والاقتراب منه.

والأدهى والأمر أنك مجبر على قطع المسافة المذكورة، وسط غابة يوحي كل شيء فيها أنها غير آمنة. وما زاد الطين بلة، ما حيك حولها وغيرها من حكايات بخصوص احتمال زيارتها من حين لآخر من قبل بعض الحيوانات المفترسة، كالنمور، والضباع. أما الذئاب، فقد كان تواجدها مؤكدا بحكم سماع عوائها ومشاهدة آثارها، وتواتر أخبار افتراسها للحيوانات الأليفة، وخاصة الضأن والماعز. بل وصل بها الأمر إلى حد الاعتداء على أتان في ملك أحد سكان الدوار المذكور.

كما كان الخوف من الغرباء وقطاع الطرق من المسلمات التي لا تغادر تفكيري وأقراني. بل أكثر من ذلك، كان الخوف من المجهول، أي مما رسخته الذاكرة الشعبية الغنية بأحاديث وخرافات عن "إِمْعَدْبَنْ" (الأشباح)، و"ثَرْجُ" (ما يطلق عليه إسم الغولة)، و"ثَسَرْدُونْثْ إِصَنْضَالْ" (بغلة المقابر)، في عقولنا ومخيلتنا كصغار من هواجس لا تكاد تفارقنا في الحل والترحال.

وعليه، فقد كان الحرص شديدا في الصباح على الانطلاق في الوقت المناسب للحاق بباقي الزملاء حرصا على التنقل في المجموعة، سيما وفيها من هو أكبر سنا وأسبق إلى المدرسة، وبالتالي، من اكتسب نوعا من التجربة في التعامل مع كافة الأوضاع، أو على الأقل هكذا كان يخيل إلي ومن على شاكلتي. أما إذا وقع وتعذر اللحاق بـ " الركب"، فتلك مشكلة عويصة لا حل لها إلا بالاستغاثة بالوالدة، رحمة الله عليها، للمرافقة حتى اللحاق بالأصدقاء، أو عند الضرورة إلى غاية الوصول إلى المرس.

وبطبيعة الحال، لم تكن الوالدة لتلعب هذا الدور لو بقي والدي على قيد الحياة. فقد غادرنا، رحمة الله عليه، إلى دار البقاء في يونيو من سنة 1956 ميلادية، أي منذ أكثر من ثلاث سنوات على تاريخ دخولي إلى المدرسة.

وبهذا الخصوص، فلست اليتيم الوحيد في العائلة. بل كنا عشرة أيتام، سبع أخوات وثلاثة إخوة. وقد كانت أعمار أغلبنا لا تصل بعد إلى سن الرشد. بل هناك من الأخوات من لا زالت لم تستكمل بعد سنتها الثانية. كما يوجد بينهن توأم لم يتعدى عمريهما ثلاث سنوات. ولم يكن حال

الذكور بأفضل من حال الإناث. فعمر أخي الأكبر لم يتعدى الثمانية عشرة سنة. أما عمرينا أنا وأخي الصغير، فقد كانا لا يتجاوزان على التوال، الست والأربع سنوات.

وإلى جانب الخوف المسيطر على عقولنا، فقد كنا نعاني من عوائق أخرى كنقص في الملبس لدرجة كنا لا نجد أحيانا بدائل للألبسة التي نرتديها خاصة حينما تتواتر التساقطات المطرية أو الثلجية ويستمر معها غياب أشعة الشمس التي تمكن من تنشيف الملابس المبللة جراء التساقطات المطرية، أو المغسولة، رغم صعوبة هذه العملية في الشتاء على الخصوص حيث تنخفض الحرارة إلى الصفر وما دونه، فتصبح ملامسة الماء صعبة إن لم تكن مستحيلة.

وإزاء هذه الوضعية، فقد كان الحل هو الاقتراب ليلا من المواقد والتنانير لمحاولة تنشيف ما تبلل من الملابس دون الاضطرار إلى خلعها. وفي الغالب، لا تتم العملية بنجاح، فيضطر المرء إلى استكمال عملية التنشيف تحت الغطاء، أثناء فترة النوم، بالاستعانة بالحرارة المنبعثة من الجسم، فيما يشبه ما يعرف في وقتنا هذا ب"البيوت المغطاة"، المستوحاة مما يعرف بـ"الاحتباس الحراري". وبذلك، يمكن القول أن جيلنا والأجيال السابقة، كان لها شرف السبق إلى استعمال تلك البيوت، وإلى اكتشاف فوائدها قبل أن تعمم تقنيتها فيما بعد في مجال إنتاج منتوجات فلاحية خارج مجالها الطبيعي المعروف.

ولم تكن بطوننا أحسن حال من ظهورنا، مما يكون له الأثر السلبي على مستوى السعرات الحرارية، الضرورية للأنشطة البدنية والذهنية وخاصة في فصل الشتاء.

فوجبة الفطور، غالبا ما لا يرغب في تناولها، نظرا للوقت المبكر الذي تهيأ فيه مما يصعب معه التخلص من آثار النوم، وبالتالي فقدان الشهية. وعليه، فالمعول عليه هو ما نحمله معنا من خبز وما يرافقه من أُدُمٍ (جمع إدام)، والذي لا يعدو في أحسن الأحوال أن يكون إما شايا معبأ في قارورة مغلقة بقطعة من " الفرشي" (الفلين)، وعند الاقتضاء، تستبدل بقطعة من " عرنوس" الذرة الخالي من الحبوب، أي ما يعبر عنه محليا ب" ثَقْشْبَالْثْ"، أو ما في حكم ذلك. وقد فصل صديقنا السيد محمد أوالشيخ Mohamed Oucheikh ذلك في مداخلة له ضمن مجموعة: Les anciens de l’école sidi ali ben yahya el mers، حيث دون جازاه الله خيرا ما يلي:

"**Mohamed Oucheikh**

"سنة66و67كان الاساتذة افرح محمد من المنزل والسي احمد طارق من البهاليل بعدهم كان السي عبد الله .يمكن من صفرو هو وكان السي عياز من الريش .كنا انذاك ندرس بالتوقيت العادي 8ونصف الى11ونصف وبعد الزوال من 2 الى5 وعند مغادرتنا للمدرسة نتفرق هناك مجموعتي والتي تتكون من ابناء ايت مخشون وكنا نترافق مع ابناء تاغيت ايت يوسف وهناك ابناء المرس وافلا وايت القايد وكذلك ابناء ايجرغني كل يقصد وجهته على ان نلتقي في الغد. . ما كان يحز في نفسي هو تلك الفترة الفاصلة بين الصباح والمساء .كنا نقضيها قرب ماكان يسمى الفندق ن ايت القايد .او نهبط الى العين اوجدير هناك كنا نجتمع ونتناول غذاءنا .الذي كان عبارة عن ما جادت به الظروف انذاك من خبز وشاي او لبن او حليب كنا نأخذها في قنينات زجاجية لمشروب غازي انذاك. اطلس او كوكا.وكنا نسد القنينات بما يسمى .تاقشبالث او سدادة من اووفال ..المهم كانت الظروف المعيشية صعبة ولكن رغم ذلك كان الاجتهاد والمثابرة والاحترام.وكان يوم الخميس وهو يوم السوق الاسبوعي متميزا لان جلنا يغير وجبة الغذاء والذي يكون عادة من سمك السردين الذي كنا نشتريه ببعض ما تجود به ايادي المتسوقين (تاسويقت)او التدويرة المعروفة الان .لم تكن هناك مقاهي ولا من يبيع الخبز .كل ما كان يملا السوق هم بعض الخضارين المحليين كالمرحوم عمي بن زايد من ايت مخشون الذي كان يأتي ببعض الفواكه والخضر التي ينتجها ..المهم الذكريات لاحد لها."

وكتجسيد للحالة التي تكون عليها البطون وهي رائحة خماصا إلى أيت مخشون عبر طريق "بوخموج"، أورد هنا على سبيل التفكه وكمستملحة أحد غرائب الطبيعة فيما يخص ثمار أشجار البلوط المتواجدة على جنبات الطريق التي نسلكها. ففي الصباح يكون طعمها كلها مرا غير مستساغ، في حين تصبح جميعها حلوة المذاق مطلوبة في المساء.

1-8-2-محاولة تذكر أسماء الأطر التربوية ومن جمعتني بهم الزمالة الدراسية خلال تلك الفترة؛

بعد هذه التوطئة، التي كانت نسبيا طويلة رغم ما بذلت من جهد لاختصارها، والتي مع كل ذلك تبقى ناقصة من حيث الإحاطة بكل الجوانب المحيطة بالعملية الدراسية أثناء الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، أمر، بعون الله وتوفيقه، إلى محاولة تذكر أسماء المشاركين والمساهمين في العملية التعليمية، وأعني بهم على الخصوص، ما أصبح يطلق عليهم في عهدنا هذا، حقيقة أو مجازا، "الأطر التربوية"، ثم زملاء الدرس والتحصيل.

واحتراما للمعلم، ولمكانته المحورية في العملية التعليمية، وبصفتي واحدا من الأجيال الذين عرفوا قدر المعلم وقدروه حق قدره، طوعا أو كرها، أبدأ بالمعلمين ثم بالمدراء، قبل الوصول إلى التلاميذ.

1-8-2-1-الأطر التربوية:

أذكر في هذا الصدد، أول من تعلمت على يديه في "مدرسة المرس"، وخاصة حروف الأبجدية الفرنسية، على اعتبار أن الأبجدية العربية قد تعلمتها على يدي الفقيه المعروف بسيدي عبد السلام الزروالي في مسجد المدشر، هو سيدي محمد الضريفي (أو الظريفي)، وهو من فرع أيت السبع أحكوض حسب ما وضح لي بعض الزملاء وخاصة مولاي الحسين بن عقى أفتيس وسيدي محمد بوعجب. فهو أول من ناديته بـ"مَسْيُو"، أي Monsieur، عوض "سيدي" أو"سي". وقد كان ذلك كما سبقت الإشارة إليه في مستهل شهر أكتوبر من سنة 1959، أي في بداية الموسم الدراسي 1959-1960.

وقبل المرور لغيره، وكملاحظة عامة، فإن هذا الـ"مسيو"، هو نفسه الذي كان يتولى تدريس جميع المواد، فرنسيها وعربيها، والتي كانت تشمل، الأبجديات ومبادئ الحساب والخط، ثم القراءة (lecture)، بالنسبة للمبتدئين، أي قسم الحضيري (Cours préparatoire) وما يليه، قبل أن تتدرج لتشمل فيما بعد، وبحسب المستويات باقي المواد المبرمجة في ذلك العهد، مثل الإملاء(Dictée)، بالعربية والفرنسية، والحساب (calcul) ومنه على الخصوص (calcul mental)، أي الحساب الذهني، والذي لابد من إتقانه، المرور حتما بحفظ كل الجداول الخاصة بالضرب (Les tableaux de multiplication)، من 1 إلى 10. ويا ويل، ويا ويل، ويا ويل، من تهاون في ذلك، فالنتيجة وخيمة. وهي حتما " الضرب" ولكن هذه المرة، مجسما وملموسا ومقرونا بالوصف "المبرح"، إما على أكف الأيادي، أو على أطراف أصابعها، أو بإقحام المسطرة المربعة فيما بينها والتحريك على شكل دائري، مع الحرص على إحكام ضم الأصبعين الموجودة المسطرة بينهما، أو أحيانا، إذا كان "الجرم فادحا"، على باطن القدمين فيما يعرف محليا بـ"أَحْمَّلْ"، وفي أماكن أخرى بـ"التحميلة"، أو"لفلقة"، وكلها مرادفات بلغات ولهجات مختلفة لعملية "الجلد" المعروفة.

ومما يستحق الوقوف عنده، ونحن بصدد الحديث عن أوجه العقاب على التهاون في حفظ "جداول الضرب"، بصفة خاصة، وحفظ كل المواد التي تتطلب الحفظ والاستظهار، بصفة عامة، الإضافات التي "تتفضل" بها الطبيعة بمناخها وطقسها القاسي من صعوبات على تنفيذ العقوبات المفصلة أعلاه.

فمن المستحيل جمع الأصابع أو ثنيها في "صبحيات" باردة، وخاصة في فصل الشتاء، حيث يشتد الصقيع ويستحيل لمس المياه القارسة المتجمدة أحيانا، مما تتحول معه كنوع من الشفرات الحادة التي ما أن تلمسها حتى تنال منك نيلا ينزف دما. فإذا كان مجرد اللم مستحيلا بدون عناء، فكيف سيكون تحت وطأة الضرب المبرح؟ هذا الضرب، الذي يتفاوت تفاوتا بين الأشخاص كلا بحسب ما اكتسب من " إثم عدم الحفظ": خمس ضربات لكل يد أو عشر أو أكثر أو أقل، كل بحسب ما نطق به سهمه، وتفتق عنه اجتهاد قاضي قضاة زمانه ومكانه، سعادة معلمنا، الذي يصدر به حكما حضوريا وابتدائيا ونهائيا، وبدون أي حق لا في الاستئناف، ولا في النقض. فما على " الجاني"، المحكوم عليه "شِّيلاسْ،إِثْرُو إِثُوسُو" (رغم أنفه)، إلا الإدعان، وإلا نفذ عليه الحكم ، بالاستعانة ب"القوة العمومية"، التي بطبيعة الحال لن تكون إلا من "المتطوعين" أو من "المرغمين"، ممن هم أكبر سنا من "المجرمين" المتهاونين في حفظ دروسهم.

والحقيقة أن العقوبة لا تكون دائما بدنية، وإنما قد تكون مخففة، فتنقلب من البدني إلى الذهني. بمعنى أنها "تكون أحيانا عبارة عن ما يصطلح عليه بالفرنسية بـ" punition "، أي " العقوبة". ولولا ما فصلناه في السطور السابقة بخصوص الجلد وما في حكمه، لسلمنا لها بالاسم، ولظننا أنها العقوبة الوحيدة التي تطبق في حق الغير المتمكنين مما يدرسون. والحقيقة، وبالمقارنة على ما بيناه بخصوص العقوبات البدنية، فما هي إلا "إكراه ناعم"، أقرب "للإلهاء distraction" منه للعقوبة بمعناها الزجري.

وكيفما كان الحال، وكما هو معلوم، فهي عبارة عن فرض تكرار كتابة المادة الغير المحفوظة عددا من المرات، يقل أو يكثر بحسب ما ارتأى الحاكم بها. ومع أنها حتما تشكل عبئا، معنويا على الأقل، لا يستهان به بالنسبة للمبتلى بها تجاه زملائه داخل القسم، وتشغله أحيانا حتى عن تناول ما تيسر له من قوت في وقت الغذاء، فإنها مفيدة بحيث من المستحيل أن ينسى مرة أخرى ما عوقب من أجله. فهي بصفة غير مباشرة، حافز قوي على الحفظ والترسيخ في الذاكرة.

إضافة إلى ما سبق، وإذا لم تخني الذاكرة، يعمل "المعلم/ المسيو أو "لْخُوجَه"، كما يسمى عند العامة، على تدريس باقي المواد المقررة وفق اســـتعمال زمن مـــحدد، وهي التاريخ (histoire)، والجغرافية (géographie)، والنحو والصرف (grammaire et conjugaison)، والمحفوظة (récitation)، والرسم (dessin)، والخط (écriture)، بحسب المستويات، باللغتين العربية والفرنسية. أما باقي المواد وهي: (القرآن، والدين، والشكل)، و(problèmes)، فلإنها لا تدرس بلغة واحدة، العربية بالنسبة للمواد الثلاث الأولى، والفرنسية بالنسبة للمادة الأخيرة.

ولمن قد يحكم على تصرف المعلمين، من خلال ما وصف هنا، نقول فالسياق التاريخي لا يحتمل غير ذلك. ومن العبث الحكم على ذلك بعين الحاضر، فلكل زمان أناسه وعاداته وتقاليده وقوانينه.

ففي ذلك الزمان، كان المعلم، مثله في ذلك مثل الفقيه، او ما يعرف ب"الطالب"، مع كل ما قد يصدر عنهما من أخطاء أو تجاوزات، مبجلين. وكانت تصرفاتهما مقبولة من الجميع على اعتبار أن سعيهم كان من أجل المصلحة. وكان يرد عل كل شكوى وتدمر، بالجواب النمطي المعروف مسبقا: "نْفْعِ نُّونْ أَوْنِتَنْعَاثْ/ نْفْعِ نُّونْ أَخْشُنْ إِشَّاثْ" ، أي "ما يعلمكم إلا ما ينفعكم/ ولا يضربكم إلا من أجل ما ينفعكم ". بمعنى "اصبروا واحتسبوا، فلن تندموا".
وقد كنت آنذاك، ولا أظن أنني الوحيد، لا أفهم معنى هذه النصيحة. فكيف الصبر على "الأذى"، وانتظار الخير منه؟ وأي خير يأتي من هذا الضرب وهذه "القساوة " يا ترى؟ ولكن مع مرور الوقت، ونضوج الأفكار والتقدم في العمر، بدأت المعالم تتضح، وبالتالي سار اللبس ينجلي شيئا فشيئا، إلى أن استوعبت كل ذلك وفهمت مغزاه. فانضممت بدوري إلى زمرة المستغفرين في دعواتهم للمعلمين، وإلى من يحرص على ذكرهم في استغفاره في كل وقت وحين، وخاصة عقب الصلوات بمختلف أنواعها. فاللهم اغفر لي، ولوالدي، ولذريتي وأقاربي، ولمن له الحق علي، ولمن علمني، ولمن سبقني بالإيمان، ولكافة المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".

وانطلاقا مما سبق، لا يسعني إلا أن أرفع القبعة وأنحني إجلالا وتكريما للمعلمين الذين تحملوا مسؤولية التدريس، سواء في مدرسة المرس، أو في غيرها من المدارس، وأقول لهم جازاكم الله عنا خير الجزاء، ورحم اللهم الميتين منكم وبارك في عمر من قد يكون منكم باقيا على قيد الحياة. ولا يسعدني وأنا أتذكركم، إلا أن أردد مع أمير الشعراء، فذ زمانه، المرحوم أحمد شوقي، قولته الشهيرة التي يستهل بها قصيدة رائعة وكأنها قيلت عن زماننا هذا الذي يهان فيه المعلم من بعض ممن كان من المفروض فيهم أن يقبلوا يديه:

قُمْ للمعلّمِ وَفِّـهِ التبجيل كـادَ المعلّمُ أن يكونَ رسولا

ولمن أراد الاستزادة من درر تلك القصيدة، فما عليه إلا الدخول إلى الرابط التالي: https://www.aldiwan.net/poem15422.html، أو البحث عنها في الكتب الأدبية، أو على الشبكة العنكبوتية، عبر محركات البحث فسيجدها في المتناول ولله الحمد.

ومع هذا كله، فالموضوعية تقتضي القول أنه قد يكون من بين المعلمين، من لا يشرف هذه المهنة النبيلة. وهي بذلك ليست بدعا من باقي المهن. ولكن مع الأسف، وكما يقول المثل، "حوتة وحدة كتخنز الشواري" (فساد سمكة في كيس مفسدة لباقي السمك الذي معها)، وبالتالي قد يتخذ ذلك ذريعة وجريرة لمؤاخذة الكل عليها.

وبعد هذه الوقفة الضرورية كملاحظ عامة على المدرسين ومواد التدريس بالمدرسة المذكورة، نستأنف الحديث عن المعلمين الذين أخذت عنهم خلال ما تبقى من الفترة التي قضيتها في تلك المؤسسة.

1-8-2-1 -2- المعلمين:

يتعلق الأمر، إضافة إلى سيدي محمد الضريفي السالف الذكر: بالسيد سعيد، على ما أظن خلال الموسم الدراسي 1960-1961، وبالسيد عبد القادر من منطقة تازة، على ما أعتقد خلال موسمي، 1961-1962 و1962-1963، وأخيربالسيد لحسن شفيق من صفرو، خلال فصل 1963-1964.

وهنا، ونحن نحاول دراسة المرحلة المتحدث عنها، لا بد من ملاحظتين مهمتين وأساسيتين:

1-8-2-1 -2- 1- أنني اقتصرت فقط على أسماء من أعرفهم من المعلمين الذين درسوني ومن في مستواي أو تعايشت معه في نفس قاعة الدرس قبل أن تتعزز الطاقة الاستيعابية لمدرسة المرس، تدريجيا ومنذ حوالي الموسم الدراسي 1961-1962، بثلاث قاعات، ثنتان منها بنيتا في وقت واحد مع مسكني معلميهما، وهما المتواجدتان على يمين مدخل المدرسة، والتي أصبحت فيما بعد تحمل اسم «مجموعة مدارس سيدي علي بن يحيى". وقد تم سقفهما بالقرميد الأحمر. وإلى يمناهما، المتواجدة في الشمال الغربي للساحة، انتقلت مع أترابي لاستكمال ما تبقى لنا من الدراسة هناك قبل أن يغادر كل واحد في اتجاهه خلال الموسم الموالي 1964-1965.
والجدير بالذكر، أنه نظرا لعدم وجود قسم الشهادة، أي المتوسط الثاني في عين المكان، فقد اضطررت ومن معي إلى تكرار قسم المتوسط الأول رغم نجاحنا إلى القسم الوالي.

1-8-2 -1- 2- 2- أنه نتيجة للتحولات الطارئة المذكورة :

1-8-2 -1- 2- 2- 1-فلم يعد هناك وجود فعلي لقاعة الدرس المتعددة المستويات التي تتعايش فيها فئات عمرية مختلفة، تتعارف فيما بينها إلى درجة كبيرة، وبالتالي، من السهل، نسبيا على الذاكرة، تخزين عدد من أسماء زملاء الدراسة لكل متمدرس والاحتفاظ بهم جميعا أوعلى الأقل ببعضهم لأطول مدة ممكنة؛
1-8-2 -1- 2- 2- 2- انتقل عدد المعلمين من واحد إلى ثلاثة، وبالتالي يصعب على المرء تذكر أسماء من لم يتصل بهم مباشرة والأخذ عنهم؛
1-8-2 -1- 2- 2- 3- ازداد عدد المتمدرسين، ولله الحمد، لدرجة بدأت الساحة تظهر عجزها عن استيعابهم جميعا في وقت واحد. ولذلك، لم يعد من السهل التعرف على أسمائهم خارج أسوار الأقسام، وبالأحرى تذكرها إذا لم تخالطهم سواء، في مسقط الرأس، أو في الطريق إلى المدرسة ذهابا وإيابا، أو تحت سقف قاعة الدرس والتحصيل.

1-8-2-1 -2- المدراء:

بقيت الإشارة إلى أن من بين المدراء الذين كانت لهم ولاية الإشراف على مدرسة المرس، السيد علي عليبوش. فجازاه الله، وبارك الله في عمره إذا كان في عمره بقية، ورحمه إن لم يعد

من عداد الأحياء. وقد كان يزاول عمله من مكتبه من إيموزار مرموشة حيث كان يقيم. وقد ذكرني باسمه، مشكورا، السيد محمد بن لحسن أرشيدي.

1-8-2-1 -3- القيمون:

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فلا بأس من تذكر أناس ساهموا في تعليمنا وإن بطريقة غير مباشرة. إنهم، القيمين على شؤون المدرسة من حراسة وتنظيف وتحضير الوجبات الغذائية، سواء للمعلمين، أو للمتمدرسين كلما سنحت الإمكانيات والفرص بذلك. ومن أهم ما يقوم به بعضهم على الأقل، إعداد الموقد لتسخين قاعة الدرس حينما تشتد وطأة البرد في فصل الشتاء، وبحسب ما تسمح به إمكانية توفر الحطب.

وأخص بالذكر هنا، المسمى قيد حياته السيد البهجة، الذي كان معاصرا للمعلم سيدي محمد الضريفي خلال الموسم الدراسي 1959-1960. فرحمه الله إن توفي، ولا أخاله، والله أعلم، إلا كذلك نظرا للعمر الذي كان عليه آنذاك. وقبله، وبحسب مولاي لحسن أمولاي (ساشا)، كانت تتولى مهمة المطعمة المرحومة السيدة يَجَّه. وبعد ذلك تولتها في وقت من الأوقات ولمدة لا أتذكرها ، المرحومة السيدة خديجة عقى، أخت المرحوم السيد سعيد أعقى أخزيز. فرحمة الله عليهم جميعا وعلى من قد يكون قد سبقهم إلى ذلك، أو جاء من بعدهم فمات. وبارك في عمر من قد يكون على قيد الحياة.

وكخاتمة لهذه النقطة المتعلقة بالأطر التربوية، نشير إلى أن نظام التدريس في مدرسة المرس كان يرتكز على حصتين صباحية ومسائية من الإثنين إلى الجمعة مع تخصيص مساء الأربعاء للأنشطة الرياضية وما في حكمها كالخرجات. وأن المعلمين كانوا حريصين على إعداد برامجهم الدراسية بكل دقة وتعليق الأوراق المفصلة الخاصة بها بجانب مكاتبهم. وكانت الدراسة اليومية تتضمن حصصا صباحية ومسائية تتخللها، حوالي العاشرة صباحا والرابعة زوالا، فترتي " la récréation " (الاستراحة بحوالي 15دقيقة في كل مرة).

ومن الأنشطة الرياضية المزاولة، حسب الظروف والاستعدادات النفسية للمعلمين، الحركات الإحمائية (التسخينية) المتداولة عادة، ومنها اللعبة المسماة بـ « saute-moton »، أي ما يمكن ترجمته " بـ "قفزة الخروف". وتقتضي من اللاعب أن يقفز فوق ظهر لاعب آخر، وهو في وضعية الانحناء، ثم يأخذ مكان هذا الأخير ليقفز من قوقه زميل آخر. وهكذا دواليك إلى الانتهاء من اللعبة. وهناك أيضا ما يسمى بـــ " marcher en canard " (مشية البط أو الإوز). وهي عبارة عن محاولة تقليد مشية الطائر المذكور، بأن يجلس الفرد على رؤوس أصابع رجليه، ويديه على ركبتيه، ثم يتحرك نحو الأمام، وهو يترنح يمنة ويسرة. وقد تنتهي التسخينات المذكورة بمباراة في كرة القدم.

أما فيما يخص الخرجات، فهي تتم عادة لاستكشاف منطقة من المناطق المجاورة لدوار المرس الأسفل، كـ" تلعينت أقبلي" التي توجد في إحدى الشعاب المنحدرة مما يعرف بـ"تغروت نأيت لحسن"، التي تعلو منبسط "إجرغني"، أو منطقة المرس الأعلى، أو "تِشْنِوينْ" أو "تِشَّاوْ مولاي سعيد". وخلال هذه الخرجات قد نلعب إحدى اللعب الجماعية مثل لعبة " voleurs(s) et Gendarmes " (السارق/السراق والدرك).

بعدما قمنا للمعلم وأوفيناه حقه بما تيسر من مفردات وعبارات وجمل منتقاة، نمر إلى النبش في الذاكرة علنا نظفر بأسماء من تشرفنا بتقاسم قاعة الدرس معهم في فترة من فترات الحياة الدرسية التي قضيناها في مدرسة المرس، معتمدين في ذلك على ما تحفظه ذاكرتنا، ومستعينين عند الاقتضاء، بما تختزنه ذواكر زملائنا ممن سبقت الإشارة إليهم في مستهل هذه الدراسة.

1-8-2-1 -4- زملاء الدرس والتحصيل:

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولجت المدرسة في مستهل الموسم الدراسي 1959- 1960. وإذا ما تذكرت جيدا، فقد كان ذلك في يوم الإثنين. وبالرجوع إلى رزنامة شهر أكتوبر من سنة 1959 واستقرائها، يتضح أن يوم الإثنين الأول من شهر أكتوبر المقصود، قد صادف 5 أكتوبر، وذلك لكون فاتح الشهر قد حل يوم الخميس.

أما بخصوص سني آنذاك، فلم يكن معروفا بالضبط. والراجح أن يكون في حدود عشر سنوات. والمؤكد أنه أكبر بكثير من السن المحددة في وقتنا هذا للتمدرس، والذي هو ست سنوات أو أقل ببعض الشهور. ويرجع السبب في ذلك، لعدم توفر جل العائلات في تلك المنطقة بعد على سجل الحالة المدنية، على الرغم من أن ذلك قد أصبح إجباريا منذ 8 مارس 1950 بعدما كانت الإجبارية مقتصرة فقط على غير المغاربة وذلك منذ 4 شتنبر 1915.

فمسألة العمر عند الأولين، خاصة في البوادي حيث تضرب الأمية أطنابها، تقديرية في الغالب، مادام التأريخ لها لا يرتكز على محررات ومستندات مكتوبة، وإنما على ما تختزنه الذاكرة التي تعتمد في ذلك على بعض الأحداث والوقائع العائلية أو المحلية على الخصوص. وغالبا، ما تتلاشى منها تلك الأحداث مع مرور الزمن، فتنمحي معها تفاصيل وتواريخ المواليد المرتبطة بها. والأهم آنذاك بخصوص عملية التمدرس، ليس عمر المتمدرس، وإنما قامته وهيأته. فكل ضعيفي البنية أو قصيري القامة، مرشحون للتمدرس. كيف لا والإقبال الطوعي على التمدرس لا زال ضعيفا إن لم يكن منعدما.

فعلى الرغم من انتهاء حجر الاستعمار والحماية، وزوال بعض الأسباب والذرائع التي كانت تحول دون الإقبال على التعليم في ذلك العهد، مثل الخوف من المجهول والتنصير، والرحيل عن الأهل والأحباب... وحل محله عهد الاستقلال، الذي تم الشروع في إرساء الأسس والدعامات التي سيرتفع عليها صرح المغرب المستقل المتطلع للحداثة، والتي من بينها التعليم والتثقيف، فلا زالت الحاجة إلى الإرغام قائمة. فلا زال جزء كبير من الناس لم يستوعبوا بعد أهمية التعليم، وذلك على الرغم من إحداث ما كان يسمى ب" العصبة المغربية للتربية الأساسية ومحاربة الأمية"، لتعليم الكبار وذلك منذ فبراير 1956، حيث أعطى محمد الخامس رحمه الله شخصيا انطلاقة دروسها. وقد كانت تصدر كتيبا يتضمن مبادئ الكتابة والقراءة والحساب.

ومما قيل حول التنصير، الذي كان من بين المخاوف الأساسية المنفرة من التعليم، ما يلي: " مَدْ إِسْدَيَتَغُلْ أَدِيْ أَنْسَلْمْ أُنَّا يْكَانْ عَادْ لْبِرُو أَتِزَمَّمْ أُرُمْيْ"، أي هل لا زال من جملة المسلمين من دخل إدارة الاستعمار وسجله النصراني (المستعمر).

وللأمانة، وفيما يخص هذه النقطة، أي تردد الآباء عن تعليم أبنائهم، فلابد من الإشارة إلى أن هناك من الآباء من لم يكن في غفلة من أهمية تعليم أبنائهم. ومن بين هؤلاء، وربما في مقدمتهم وعلى رأسهم، المرحوم السيد أحمد بن العربي بولحرمل، الذي أدخل ثلاثة من أربعة أبنائه إلى مدرسة المرس. وقد كان يحث الناس على ذلك. وقد سمعته غير ما مرة يخاطب المترددين منهم بقوله: "والله أَوْدِينْ أُرِسْقْرِينْ ثَرْوَنْسْ أَلْتُّثُو لْخْصَارْثْ" (والله إن الذي لا يقدم على تعليم أبنائه ليصيبنه الخسران) .

وباختصار، فلا زالت العملية التعليمية تتم تحت تهديد العقوبات الزجرية، وكأن المتمدرسين "ينتزعون" من أولياء أمورهم انتزاعا. ومما لا يشجع على تقبل العملية التعليمية عن طواعية، إضافة إلى طبيعة الحياة المجتمعية التي كانت آنذاك لم تخرج بعد من نمطها التقليدي الموروث الذي لا يحتاج في الغالب للمتعلمين بالقدر الذي يتوقف على الأشداء لمواجهة متطلبات الحياة المعيشية من أعمال شاقة في الزراعة، وتربية المواشي، والذود عن الأسرة، والعائلة، والعشيرة، والقبيلة، وما يستوجبه التنقل والترحال، طلبا للكلأ والماء، هروبا من الآفات والنزاعات والصراعات، أو كل ذلك، بعد المسافات بين مقر المدرسة ومساكن المتمدرسين، والتي تصل إلى الكيلومترات.

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فبالنسبة لأطفال دوار أيت مخشون مثلا، فالمسافة بينهم وبين المدرسة حوالي سبع كيلومترات. وكذلك الشأن بالنسبة لأقرانهم في تاغزوت أيت مولاي سعيد (أيت أحمد) ...

ودون الدخول في التفصيل بخصوص المواسم والصفوف الدراسية، نظرا لانعدام الدقة في ربط الأشخاص بالأحداث والتواريخ، وبصفة مجملة، ومنذ أن وطئت قدماي تلك المؤسسة، بمعية أختي للاعائشة، التي أكبرها بحوالي ثلاثة أشهر، وأخي المرحوم مولاي سعيد، المتوفى شنة 1977، والذي يصغرني بحوالي عامين، إلى حين مغادرتها، فقد تعرفت على عدد من الزملاء الكرام منهم، منهم من يكبرني وبالتالي سبقني إلى الدرس والتحصيل، ومنهم من على العكس من ذلك من أكبره وسبقته. ومنهم أيضا من قضوا نحبهم، رحمة الله عليهم، ومنهم من ينتظر كما ننتظر، بارك الله في عمرهم. وهم كالآتي موزعين بحسب المداشر:

1-8-2-1 -4- 1- فمن أيت أحمد:

- السيد لحسن بن مولاي، إجرغني ؛
- السيد محمد بن زنو، إجرغني ؛
- المرحوم السيد امحمد بن محمد تردوست، إجرغني؛
- السيد أحمد المشهور ب"بوحميد" المشهور، تاغزوت؛
- السيد سعيد بن الحسين أعقى لاحقا؛
- السيد الحسين بن علي، السغروشني؛
- وغير هؤلاء...

1-8-2-1 -4- 2- ومن أيت يوسف:

- السيد محمد بن لحسن أضرغال؛

- السيد الحسين ألعباس؛
- المرحوم السيد الحسين بن حمو أفاضل؛
- وغير هؤلاء...

1-8-2-1 -4- 3- ومن أيت لحسن:
- السيد محمد ألحسن ألهواري؛
- السيد محمد أسعيد أزچاغ؛
- السيد علي شايض؛
- المرحوم السيد محمد بن حدو الزهراوي؛
- وغيرهم....

1-8-2-1 -4- 4- ومن بري أو من الجوار:
- السيد عبد الله بن أحمد بن سعيد المعروف آنذاك بــ" مجنون" أو " المجنون".

1-8-2-1 -4- 5- ومن أيت مخشون:
- السيد الحسين بن عقى بوتالوزت سابقا، أفتيس لاحقا؛
- المرحوم السيد سعيد بن لحسن أمخشون؛
- الآنسة وفيما بعد السيدة عائشة بنت لحسن أمخشون؛
- السيد عبد الله بن محمد أوالشيخ؛
- السيد حدو بن أحمد بولحرمل؛
- الآنسة وفيما بعد السدة عائشة بنت محمد المقدم، انرز لاحقا؛
- المرحوم السيد سعيد بن محمد المقدم،انرز لاحقا.
- السيد محمد بن أحمد إجروساون؛
- السيد محمد بن الحسين بوعجب؛
- الآنسة وفيما بعد السيدة عائشة بنت لحسن بوعجبان؛
- المرحوم السيد محمد بن لحسن بوعجبان.

1-8-2-1 -4- 6- ومن المرس الأعلى:
- السيد سعيد بن الحسين أمزيل سابقا، الملوكي لاحقا؛
- المرحوم السيد محمد بن الحسين أمزيل سابقا، الملوكي لاحقا؛
- تليد محمد بن حمو أمزيل (لا أعرف كنيته لاحقا)؛
- المرحوم محمد بن أحمد بلحاج سابقا، بوعودة لاحقا؛
- السيد لحسن بن أحمد بلحاج سابقا، بوعودة لاحقا؛
- وغيرهم....

1-8-2-1 -4- 7- ومن المرس الأسفل بما فيه أبوبشرن بكل والساكنين بما يعرف ب"لقشلة":
- المرحوم السيد محمد بن الشيخ محمد أعمر مسكرا؛
- السيد سعيد بن بها لغشيم؛

- السيد علي بن بها لغشيم؛
- السيد محمد بن بها لغشين؛
- المرحوم السيد اعمر بن الشيخ محمد أعمر مسكرا؛
- المرحومة السيدة يامنة بنت الشيخ محمد أعمر مسكرا؛
- الآنسة ثم السيدة لاحقا عائشة بنت الشيخ محمد أعمر مسكرا؛
- السيد محمد بن علي التفاحي؛
- السيد محمد بن الحاج أضرضور؛
- أظن السيد لحسن بن أحمد بن سعيد العمراني؛
- المرحوم السيد محمد بن حمو أعراب؛
- السيد لحسن بن حمو فريدي؛
- المرحومة الانسة، ثم لاحقا السيدة فاطمة بنت حمو فريدي؛
- الانسة، ثم لاحقا السيدة لاحقا عائشة بنت حمو فريدي؛
- وغيرهم....

2- بعض الأحداث والوقائع الراسخة في ذاكرتي عن الفترة المدروسة:

في الحقيقة، الذكريات عن فترة الدراسة بـ"مدرسة لمرس"، عديدة ومتنوعة. كيف لا وكل قطعة من القطع المكونة للبساط الأرضي الذي كنا نتحرك عليه إلا وقد سجل تصرفا ما، أو حدثا من الأحداث التي تستحق أن تعد من جملة الذكريات. ونظرا لصعوبة تذكر التفاصيل والإحاطة بالكل، نكتفي بما تيسر من أهمها، محاولين فرزها وتقسيمها إلى ما يلي:

- **ذكريات الدرس وما يرتبط به ؛**
- **ذكريات الطريق إلى ومن المدرسة؛**
- **ذكريات أهم الأحداث على صعيد المنطقة خلال الفترة المدروسة**.

2-1- ذكريات الدرس وما يرتبط به:

2-1-1- "بيداغوجية" الحطبات :

من الأشياء التي ما تزال ماثلة أمام عيني بخصوص هذا الجانب، الطريقة المتبعة آنذاك في تعليم مبادئ الحساب باللغة الفرنسية. وهي طريقة الاستعانة بما كان يسمى " Les buchettes"، أي ما كان يصطلح عليه بالعربية ب،،" الخشيبات". وتقتضي العملية المرتبطة الموضوع من التلميذ، متابعة معلمه فيما ينطق به حينما يشهر ويظهر ما أخذه من تلك الخشيبات الموجودة أمامه فوق مكتبه، والتي كان كل تلميذ يتوفر على نظيرها عنده أمام مقعده في الطاولة المشتركة بينه وبين من يتقاسمها معه. فيبدأ المعلم برفع خشيبة واحدة قائلا:"une buchette"، فيردد الجميع من نفس القسم، وراءه:"une buchette". ثم ينتقل إلى : "deux buchettes"، فيقول التلاميذ :"deux buchettes"، ثم يمر إلى ثلاثة : " trois buchettes "، ويردد التلاميذ وراءه جميعا: " trois buchettes "، وهكذا دواليك.

ومن حين لآخر، يحاول المعلم اختبار استيعاب التلاميذ للدرس، فيفاجئهم برفع يده بما فيها مع الإمساك عن الكلام، آمرا إياهم باليد الأخرى، بالنطق بالجواب بدلا عنه. وقد يحاول المساعدة على ذلك بتحريك الشفتين دون النطق بالمضمون.

2-1-1-2- انغراز الريشة في رأس زميل بدلا من المحبرة:

ومن تلك الذكريات كذلك، محاولة تلميذ ممن يجلسون في الصفوف الخلفية، مساعدة أحد الزملاء في الصفوف الأمامية بإعارته أحد الأقلام الحبرية المتوفرة لديه، والتي كانت تعرف ب"الريشة". ومن شدة الخوف من المعلم، كانت المحاولة خفية، مستغلا في ذلك انشغال المعلم بأمر ما. فغامر برميها إليه من فوق رؤوس الذين يتوسطونهما. ولسوء الحظ، لم يصل المقذوف إلى المقصود، وإنما انغرز في رأس أحد الزملاء، الذي صرخ من شدة الألم، فانكشف الأمر وحق العقاب.

وكما هو معلوم، فما يعرف ب"الريشة"، عبارة عن قلم يشترى. يصنع طرفه الذي يكتب به، المسمى "la plume" من مادة حديدية. وتحتاج الكتابة ب"الريشة" إلى تكرار غمس الجزء الذي يكتب به في مادة الحبر الذي يصب في المحبرات، والذي يحضر من مادة تخلط بالماء ويحتفظ بها إلى حين الانتهاء منها ثم تجدد.

2-1-1-3- المطعمة:

ومن تلك الذكريات كذلك، فيما يتعلق بالمطعمة، التناوب أحيانا على غسل أواني المطبخ وخاصة "الطنجرة"، التي تعد فيها "الحريرة"، وملؤها بالماء، الذي لم يكن بطبيعة الحال متوفرا عبر القنوات كما هو الحال الآن. وإنما كان لا بد من جلبه من الينابيع الموجودة نحو الأسفل في وادي المرس وخاصة "عين نْسْفَلُوتْ" (عين الرصفة)، أو "لعين أُجْدِيرْ" (عين الحافة، أي الخارجة من أسفل إحدى الجوانب المحيطة بمجرى الوادي). ومما يزيد من صعوبة العملية، أن "الطنجرة" المذكورة، تكون ملطخة دائما ببقايا القار المنبعث من حطب الطبخ على شكل دخان. كما أن حملها بين اثنين، ليس بالأمر الهين، خاصة بالنسبة لضعاف البنية

وقصر القامات، الذين تكون قامتها أحيانا، وكما قال أحد من اختبر العملية وهو مولاي لحسن أمولاي، أكبر من قامتيهما. وتتضح المعاناة أكثر إذا ما علمنا أن المسافة الفاصلة بين "العين" والمدرسة تقارب نصف كيلومتر، وأنها كلها صعودا نحو الأعلى.

2-1-1-4- أول "إضراب" دون معرفة مفهومه ومغزاه:

وارتباطا بالمطعمة، التي كانت أحيانا تقدم لمن لا يتوفر على مسكن في المرس، وجبات غذائية عبارة في الغالب عن حساء أو حليب مستحضر من المعلبات الخاصة بذلك، فقد خضنا ذات مرة أول "إضراب" في حياتنا، رغم تنفيذه تحت مسمى "أُرْنْبْغِي أَنْشْ"، الذي تحول إلى "أُرْبْغِينْ أَدْشَّنْ"، عند غيرنا، مما يمكن ترجمته بـ"لا نريد أن نأكل" و " لا يريدون / يمتنعون عن الأكل". وبطبيعة الحال لم تكن لدينا أية فكرة عن مفهوم الإضراب، وبالتالي، لم يكن لها أي هدف غير تحسين ظروف إعداد الطعام.

2-1-1-5- زبدة المساعدات الدولية:

ومما له علاقة بالأكل والإطعام، صوت المرحوم الشيخ محند، أحد الجنود المرابطين بالمرس، وهو يردد بصوت موسيقي "أُدِي أُدِي أَلْوَاشْ"، "أُدِي أُدِي أَلْوَاشْ"، أي " السمن، السمن/ هلموا ، هلموا/ إلى السمن يا أولاد"، وفي يده علبة تحتوي على معجون قابل لاستعماله كإدام لتسهيل تناول الخبر البارد والجاف، والحافي الذي نأويه مع دفاترنا التي نحملها في "ثَقْرَبِينَنَّخْ"، أي في "محفظاتنا"، والتي هي أقرب لِلْجُرُبِ" منها للمحفظات المدرسية كما هو متعارف عليه الآن.

وبخصوص هذا الشخص الطيب، فقد حكي لي أنه أخبر ذات مرة بالعثور في حقل بالقرب من الوادي الذي يخترق المرس على قنبلة غير منفجرة من القنابل التي كانت طائرات الاستعمار تلقيها على المنطقة أثناء غزوها للمنطقة في عشرينيات القرن العشرين الماضي، فأشرف على حملها إلى الشعبة المنحدرة من منطقة "إجرغني" والمرتفعات التي تعلوه نحو الغرب والجنوب الغربي، المعروفة "سْهَبْ وُوشَنْ"، ليفجرها هناك بواسطة النار، بعيدا عن السكان والساكنة. والشعبة المذكورة، عبارة عن أخدود عميق حفرته المياه المتدفقة من المرتفعات المذكورة، وخاصة أثناء الأمطار الرعدية، لا يتعدى عرضه أمتار قليلة. وبالفعل، فقد تم اختيار المكان المناسب للتفجير بحسب اجتهاد المشاركين في تلك العملية، بمن فيهم أحد أصدقائه الذي يمتلك متجرا في المرس.

وقد كان الكل مقتنعا أن العملية ستتم بدون مشاكل، بحيث لن يتعدى انفجار القنبلة المكان المخصص للعملية. وجمع الحطب على شكل كومة، ووضعت فيه القنبلة وأضرمت النار، وابتعد الكل إلى مكان آمن، تحسبا لكل احتمال. وبعد مدة، حدث ما لم كن في الحسبان. فعوض أن تنفجر القذيفة في عين المكان، انفلتت من عقالها وانطلقت في السماء كأنها خرجت للتو من فوهة مدفع، ولم يعرف أي أحد أين وصل مداها، ولا أين سقطت. انتاب الجندي قلق شديد مما وقع، وخاف أن يكون المقذوف قد تسبب في قتل أوجرح أحد أو تسبب في أضرار ما لأي كان. وبينما هم كذلك، إذا بصاحبه يصيح "هَهْ، أنظروا إلى هناك إلى التلة الفلانية، لقد سقط حمار بن ... صريعا. وربما قد يكون صاحبه قد لقي هو الآخر هتفه". وانطلق في بكاء وعويل هستيرين مفتعلين. وزاد الجندي المسكين هما وغما وضاقت به الأرض بما رحبت وكره نفسه.

ولما تبين " للصاحب الماكر" أن الأمر قد أخذ من قبل الجندي المذكور على محمل الجد، وأن الحزن قد نال منه، انفجر ضحكا وقهقهة مرددا، "كنت أمزح فقط ، وأن الحمار لم يصب بأذى، وأنه كان فقط يتقلب ويتمرغ في التراب كعادة الحيوانات".

كظم الجندي غيظه وأسر ما بدا من صاحبه في نفسه، عازما كل العزم، أن ينتقم لنفسه من هذا المقلب حينما تتاح الفرصة. وبالفعل، وبعد مدة جاءت الفرصة. فقد علم الجندي أن صاحبه التاجر قد اشترى كمية مهمة من زيت الزيتون المغشوش، وخزنها في متجره، لتصريفها تدريجيا إلى الزبناء. وأتاه ذات مساء، كما جرت العادة ليتجاذب معه أطراف الحديث قبل أن يقفل المتجر ويذهب إلى حيث يسكن، البعيد نسبيا عن مكان تواجد المتجر. وبعدما أخذ منهم الحديث وقتا مهما، وحان وقت الانصراف والفراق، همس الجندي في أذن صاحبه، "قبل أن أنسى، لقد أخبرت بواسطة الهاتف أن لجنة مراقبة الأسعار والمواد ستحل غذا صباحا بالمرس، وأردت أن أخبرك لتكون على بينة من ذلك. ولكن، أرجوك ألا تخبر أحذا بذلك. ولولا معزتك ومحبتك الكبيرتين، لما تجرأت على البوح بهذا السر أمامك".

افترق الرجلان ودخل الجندي إلى ثكنته، بينما غادر التاجر إلى مسكناه، وعقله مشغولا بما سمع بخصوص اللجنة المرتقبة، عازما ألا ينام قبل معالجة الأمر وإخفاء السلعة المعيبة تجنبا لكل عقاب محتمل. ومن أجل ذلك، فقد شرع في التحضير للعملية، وخاصة البحث عن مكان آمن لإخفاء المادة المعيبة. وبالفعل، وكما توقع الجندي، فقد عاد التاجر ليلا إلى متجره وشرع ينقل البراميل التي عبئت فيها السلعة خفية ولوحده، وهو يراقبه من دون أن يعلم التاجر ذلك، ليتأكد من نجاح المقلب "الثأري". ولما تأكد أن العملية تسير وفق الخطة المرسومة، وأن صاحبه قد ابتلع الطعم، انسحب إلى منزله ليتم ما تبقى من الليل بين أفراد عائلته كأن شيئا لم يكن.

جاء اليوم الموعود ومر دون أن تحضر اللجنة. وظن التاجر، أن الأمر قد يكون مجرد تأجيل ليوم أو يومين. وبعدما تأخر قدوم اللجنة المزعومة لأيام ارتاب من الأمر وعرف أن فيه شيء غريب، فتجرأ على صاحبه متسائلا، "وأين اللجنة التي حدثتني عنها يا صاحبي؟" انفجر الجندي قهقهة وضحكات في وجه صاحبه التاجر، "اسأل عنها حمار بن ... الذي صرعته القنبلة التي فجرناها في سهب ووشن". انكشف الأمر وزال الغموض.

2-1-1-6- التحميلة / الفلقة:

ومما رسخ في الذهن كذلك، ولا يمكن نسيانه، "التحميلة" (الجلد) الذي طال كل أفراد القسم ما عدا فردين كلفا بتقديم بإحكام الإمساك بالمعاقبين أثناء العملية لكي ينالوا جزاءهم. وقد كان ذلك، بسبب خلاف لا علاقة له إطلاقا، بمجال التدريس. بل كان بمثابة انتقام، بسبب من الأسباب أفاق، على ما يبدو، لدى "المعلم المعاقب"، سامحه الله، ضغينة، أو ودفينة ما، فانتهز فرصة من الفرص القابلة للعقاب تربويا، للانتقام. والذي فضح نواياه، ترديده أثناء جريان عملية "التحميلة"، وهو في غضب شديد، "كتفلوا علي أولاد شلوح" (أي تستهزؤوا مني يا أبناء الشلوح)، وصب جام غضبه بطريقة هستيرية على أحدنا، لدرجة لم يستطيع الوقوف على رجليه بعد انتهاء العملية، إلا بالمساعدة. وكادت المسألة أن تأخذ منحى آخر، حينما علم ولي أمر هذا الأخير بالأمر وعزم على الانتقام لمن تحت ولايته، لولا التدخلات التي خففت من

غضبه. وقد كاد أن يبقي الأمر بالنسبة لي لغزا، لولا ما أفادني به، مؤخرا، التلميذ المتضرر أكثر من العملية المذكورة.

2-1-1-7- هدية مرفوضة:

وبخصوص نفس المعلم رحمه الله، فقد استطعت في يوم من الأيام، ونحن في الفترة المخصص للغذاء والاستراحة، أن أكسر جناح طير من نوع "الحجل" بحجر، فسار يجري فقط على رجليه ولا يستطيع الطيران. وبعد جهد جهيد تمكنت والزملاء الذين معي من المسك به والاتيان به إلى المعلم لكي يذبحه وينتفع به. أما نحن، فلا زلنا لا نحسن الذبح وليس لدينا سكين يصلح لذلك. ولكن المعلم رفض أن يستلمه، وطلب منا الاسراع بإطلاق سراحه، مخافة أن يصل خبره إلى علم حارس الغابة. أما نحن فكان لنا رأي آخر، سيما بعدما بذلنا مجهودا مضنيا للمسك بالطير المسكين وبعدما كسر أحد جناحيه. لم نطلق الطير، وإنما احتفظنا به في دكان (متجر صغير) أب أحد الزملاء، ريتما نخرج من المدرسة فنحمله معنا إلى حيث نسكن. ولكن لما خرجنا من المدرسة في المساء، كانت المفاجأة أن الطير فارق الحياة.

ومن المعلوم أن الحجل من الطيور الحساسة جدا. فهو لا يتحمل الوقوع في قبضة البشر، ولو تم ذلك وهو معافا من أي ضرر. فكما يقال" تْسْوُوتْ لْغُوسْتْ"، أن تقضي عليه الحسرة الشديدة التي تملأ جوفه نارا.

2-1-1-8- قصعة المعلم أوالرحيل ومشاكله:

ودائما مع نفس المعلم، ولكن هذه المرة حينما انتهت مهمته هناك وأضطر إلى الرحيل، فكان عليه أن يبحث عمن يتولى حمل أمتعته إلى بلدة سرغينة التي تتواجد جنوب المرس وتبعد عنه بحوال خمسة عشر كيلومترا، حيث يمكنه أن يستقل الحافلة اليومية الرابطة بين إيموزار مرموشة ومدينة صفرو، لأن الحافلة التي تربط المرس بصفرو، أسبوعية كل يوم الإثنين، وأحيانا تتعطل ولا يوجد البديل. ولذلك طلب مني وزميلي مولاي عبد الله أوالشيخ والمرحوم مولاي سعيد بن لحسن أمخشون التكفل بنقل أغراضه. فقمنا بالواجب على بغل عائلتي وحمار لم أتذكر من أمدني به. ونظرا لقلة تجربتنا، فلم نضع الأشياء القابلة للكسر على ظهر البغل الذي هو أعلى من الحمار، لنتمكن بذلك تفادي الحواجز التي تعترض طريق الحمولات القريبة من سطح الأرض، ومنها بطبيعة الحال حمولة الحمار. فكان من نتيجة ذلك، ونحن نحط الحمولة في سرغينة على حافة الطريق، أن اكتشفنا أن قصعة المعلم قد تكسرت. فوقعنا في حرج شديد مشوب بالخوف من عقوبة ما من هذا المعلم الذي على وشك أن يفارقنا إلى الأبد وبالتالي لم تعد له علينا أية ولاية.

2-1-1-9- حروف وكلمات عنيدة:

ومما احتفظت به من ذكريات مع معلم آخر، ونحن لا زلنا ندرس في "تلاوة" "إقرأ" الجزء الأول للمرحوم أحمد بوكماخ. ولما وصلنا إلى حرف الثاء، طلب المعلم من أحذ التلاميذ الزملاء القراءة، فبدأ يتلعثم، فأغلظ له المعلم القول، وهم بضربه، فزاد في التلعثم، وسار ينطق الحروف بشكل سريع لدرجة اختلط معه كل شيء ولم تعد حروف مقطعة كما هو الأصل، أي :

ثَ - ثُ - ثِ

ثا - ثُو - ثِي

ولكن أصبحت هكذا:
ثَاثَ ثُوثِي ....
فخيل إلينا أنه يتكلم بالأمازيغية وبما معناه:
"الحرباء ضربتني"
فصار القسم كله يضحك والمسكين لا يكاد يخرج من ورطته، ويجيب عن تساؤل المعلم، لماذا تفعل هكذا، بما يلي:
"أُرَسْبَضْخْ أَمْسْيُو، أُرَسْبَضْخْ أَمْسْيُو"، أي "رغما عني يا معلم رغما عني".
فرحمة الله على المعلم والتلميذ إذا غادروا إلى دار البقاء، وبارك في عمريهما إذا بقيت في عمريهما بقية.

2-1-1-10- نماذج من الأنشطة الترفيهية:
على الرغم من الصعوبات، وخلافا لما قد يظن، لم تخل فترة الدراسة بالمرس من لحظات سعيدة ومسلية. بل يمكن الجزم أن "ضحكاتنا" في ذلك الوقت أكثر إفادة للنفس والجسم من ضحكات هذا الزمان، لأنها بريئة أصيلة غير مُقَلِّدَة لا لزيد ولا لعمر ولا لفلانة أو فلانة من نجوم الشاشات والملاعب والمسارح...فكل شخص له ضحكته الخاصة به التي يصعب على الغير"تزويرها"، وحتى التزوير لا مبرر له لأن الحاجة إليه لم تكن قائمة كما هو الحال اليوم حيث يقلد، تقريبا، كل شيء.

2-1-1-10- 1- مضمار التزلج على الجليد:
ومن الأشياء التي نستعيد بها على تلطيف الأجواء في فصل الشتاء حيث تتواجد الثلوج في الساحة، وخاصة في أسفل الأصوار المحيطة بها، ولاسيما من الجهة الغربية التي تتقاسم فيها مع "فندق أيت لقايد" الصور القائم هناك. فنعمد إلى إعداد ممرات مملوءة بالثلوج ونعمل على تسويتها وضغطها بالأرجل حتى تصبح شبه قطعة واحدة على طول المدار الذي نستخدمه للتزحلق، مستعينين في ذلك بأحديتنا التي نطلق عليها "تِسِلَ"، والتي باطنها من المواد المنتقاة من الإطارات الخاصة بالسيارات من الحجم الصغير. ومما يساعد في عملية التزحلق، ما يلحق تلك الإطارات من تآكل وانحداب. ونظرا لاستواء الساحة، وعدم وجود انحدار يساعد على التحرك التلقائي، فإننا ابتكرنا طريقة يتعاون فيها ثلاثة أفراد أو أكثر على تنفيذ العملية بنجاح وبكثير من التشويق. فيجلس أحدنا على رؤوس أصابعه، ويمسكه إثنان من يديه، كل واحد من جهة، ثم يقومان بسحبه نحو الأمام بأقصى ما يمكن من السرعة. ثم يقوم، القاعد، ويأخذ أحد الواقفين مكانه، وهكذا إلى أن تنتهي فترة الاستراحة.

2-1-1-10- 2- تقليد طائر الحجل في التعشيش ووضع البيض:
وفي فصل الربيع، وتزامنا مع فترة التعشيش والتبييض لدى طيور الحجل، نقوم بلعب لعبة إخفاء البيض والبحث عنها. فيعمد أحدنا بإعداد ما يشبه مفحص (عش) طائر الحجل، فيضع فيه مجموعة من الحصى المتناهية الصغر، ثم يبتعد ويدعوا أصدقاءه إلى البحث عن ذلك المفحص بصوت يقلد فيه صوت ذكر الحجل. وهو ما يعرف ب"أَسْغُشْثْ" (أي إصار أصوات لتحديد المساحة الخاصة بكا ذكر من طيور الحجل). ولحصر مجال البحث عن "البيض" المزعوم، حتى لا يتيه الباحث ويضيع في أرجاء الساحة، يتم توجيهه بواسطة صوت "غُشْثْ"، بطريقة متتالية، او منقطعة بحسب القرب أو البعد من الهدف المنشود.

2-1-1-10-3- لعبة أو رياضة التسديد بكرة التنس:
يقوم مبدأ هذه اللعبة التي لم أعد أتذكر جيدا قوانينها على وجود فريقين مكونين من عدد متساو من الأفراد. ويوضع بينهما هدف، حجارة مثلا، على مسافة متساوية من الطرفين وبقدر مناسب للرماية بكرة التنس، فتوضع القرعة لمعرفة الفريق الذي سيبدأ في الرماية، ثم ينطلق اللعب بالرامي الأول ويقدف فإن أصاب الهدف وأسقطه، ولم يتم الإمساك بالكرة من خصمه أو أحدا من رفاقه، يحكم بقتله. ثم يستمر في اللعب إلى أن يخطأ الهدف، وإداك تصبح الكرة في الجهة الأخرى. بصفة عامة هذا هو المبدأ ولكن التفاصيل غابت عني، ربما يحتاج الأمر إلى مجالسة بعض من لعب هذه اللعبة للمساعدة على التذكر.

2-1-1-10-4- التراشق بالمياه في عاشوراء:
من الأوقات الجميلة أثناء التوقف للغداء، تلك التي قضيناها في سنة من السنوات التي صادف فيها "يوم عاشوراء" يوما ربيعيا جميلا. وقد نزلنا إلى الوادي بالقرب من "عين تسفلوت" السالف الذكر. ولما انتهينا من غداءنا، وفرغنا ما نحمله في قواريرنا من لبن وشاي، بدأنا نملأها بالماء ونتراشق بها.

والمسلي في كل ذلك، أن من لم يحتاط لقارورته، حينما تصبح يده لزجة بفعل الماء، تنفلت منه وتسقط على أحجار الوادي فتنكسر للتو، فيصاب بالإحباط نظرا لقلتها ولا يمكن الحصول على بديل لها بسهولة. وقد يتعرض للعقاب أو التوبيخ من طرف العائلة. وبالفعل، فقد كسر الكثير قواريرهم، ولم تسلم إلا التي انتبه أصحابها للأمر صدفة.

2-1-1-10-5 – نشيد الوداع:
من الأوقات المؤثرة، التي يختلط فيها فرح الانتهاء من السنة الدراسية والتفرغ للعطلة الصيفية، بحزن فراق الأصدقاء، تلك التي تخصص لإقامة حفل نهاية السنة. حيث تكتب على السبورة بالخط العريض عبارة "عطلة سعيدة للجميع bonnes vacances à tous". ويضع كل واحد أمامه زجاجة من المشروب الغازي المشهور آنذاك في المنطقة، المسمى "الأطلس" المنتوج في مدينة فاس، والذي لم يعد له الآن وجود. والكل ينتظر لحظة الصفر التي تبدأ فيها عملية فتح السدادات المعدنية التي أغلقت بها الزجاجات بإحكام. والعملية تأخذ بعض الوقت نظرا للحاجة إلى المفتاح الخاص بالعملية، والذب بطبيعة الحال لا توجد منه، في أحسن الأحوال، إلا نسخة واحدة، الشيء الذي يدفع البعض أحيانا للمغامرة بالفتح بالأسنان مع ما في ذلك من مغامرة قد لا تحمد عقباها. ولما تنتهي العملية، يشرع الجميع في تذوق المشروب الذي قد يتناوله البعض لأول مرة، وبالتالي يجد صعوبة في غبه دفعة واحدة على الرغم من أن سعة القارورة، التي يجد العديد منا صعوبة في توفير ثمنها، لا تتعدى ربع ليتر على الأكثر، مما يضطر معه إلى ارتشافها رشفة رشفة، مع التوقف من حين لآخر لأخذ النفس كلما أحس بالحاجة إلى ذلك.
وبعدما ينتهي الجميع من تناول المشروب المذكور، تجمع القوارير وتوضع في أماكنها في الصندوق الخاص بها بكل عناية وحذر حتى لا تتكسر ويؤدى مقابل ذلك. المتجر. ثم يتم الشروع في تجميع الطاولات في زاوية من زوايا القاعة بنشاط وهمة، ثم تصدح الحناجير من بعد ذلك، مرددة وراء المعلم النشيد المشهور، " نشيد الوداع" والذي تقول كلماته:

نادى الرحيل بالفراق هل بعد لقاء

نادى الرحيل بالفراق هل في اللقا رجاء
هذا شعارنا يشهد علينا في الغياب
إنا وإن طال الأمد سنسعى للإياب
ليس افتراقنا وداع إن ضمنا الوداد
ما قام هذا الاجتماع إلا للاتحاد
هذا شعارنا يشهد علينا في الغياب
إنا وإن طال الأمد سنسعى للإياب
ولنجعل من أيادينا رمز اعتصامنا
بحبل الله إذ كنا به مؤمنينا
هذا شعارنا يشهد علينا في الغياب
إنا وإن طال الأمد سنسعى للإياب
إن الذي وحدنا الود والإيمان
لا بد أن يجمعنا مهما طال الزمان
هذا شعارنا يشهد علينا في الغياب
إنا وإن طال الأمد سنسعى للإياب

2-2- ذكريات الطريق إلى ومن المدرسة:

ذكريات التنقل، ذهابا وإيابا، إلى المدرسة عبر غابة" بوخاموج" على مسافة حوالي سبع كيلومترات عديدة ومتنوعة. ومنها ما سيذكر في المقاطع الموالية:

2-2-1- الاحتطاب:

نظرا للظروف المناخية القاسية التي تعرفها المنطقة، وخاصة في فصل الشتاء، بحيث لا يمكن البقاء في مكان دون الحاجة إلى الدفء، وكذلك لمتطلبات الطهي، فإن الحاجة ماسة دائما لحطب التدفئة والاستعمالات المطبخية. وحيث أن توفير الحطب من الأمور الغير المنتظمة لارتباط ذلك بوجود الموارد المالية الضرورية للشراء، فإن الضرورة تقتضي أحيانا الاعتماد على الإمكانيات المتاحة بفضل التلاميذ وخاصة الذين يعيشون في المناطق التي يتواجد فيها الحطب بوفرة. فيطلب المعلم من بعض هؤلاء حث أسرهم وعائلاتهم على التطوع بتزويده والمدرسة ومطعمها ببعض أحمال الدواب من الحطب، أو يطلب ممن يمرون منهم على أماكن تواجد الحطب بجلب ما تيسر من ذلك كل صباح وهم قادمون إلى المدرسة. وبما أن الأمر يعنينا في المقام الأول نحن الذين نغدو ونروح في الغابة، فقد كان لزاما علينا الاستجابة للمطلوب والانخراط في العملية.

وتنفيذا لذلك، فقد كان كل واحد منا يبحث كل مساء ونحن رائحون إلى منازلنا عن الحطبة التي سيحملها في يده في الغد إلى المدرسة، ثم يخبئها في المكان الذي يختاره لكي لا تضيع بسبب من الأسباب. وقد كنا نفعل ذلك بالأيادي فقط بدون مِحْطَبٍ. كما كنا حريصين أشد ما يكون الحرص على أن يكون ذلك ، ما أمكن، في أقرب مكان إلى المدرسة تخفيفا لعبء الحمل وتقليلا لعناء الأيادي العرية الحاملة من آثار قساوة البرد.

2-2 -2- الرهان والتحديات:

ومن بين ما كان يستهوينا أحيانا في هذا المجال، ولسنا الوحيدين في ذلك، فقد سبقنا إلى ذلك، بحسب ما أفادني به سيدي محمد أفتيس، من سبقونا، "ثِشْلِ سْثِنْدْفَّرثْ" (النكوص على العقبين/

السير عكس اتجاه الوجه، أو الجري حفاة الأقدام. كما كنا لا نتورع عن المغامرة بالمرور سريعا عبر الحواجز الطبيعية المحيطة بالطريق في بعض الأماكن المنحدرة، أو القفزات بمختلف أنواعها وخاصة العلوية فوق الحواجز الطبيعية التي توفرها الغابة على جنبات الطريق. ومن أشهر تلك الحواجز، والتي نقف عندها طويلا أحيانا، شجيرة "تَاقَه" (نوع من السرويات يطلق عليها اسم العرعر الشربيني، أو العدريش. وتعرف علميا ب: Juniperus oxycedrus . أنظر المزيد في ويكيبيديا Wikipedia)، الموجودة في المكان المتواجد على مشارف مساكن "أَغْرَمْ" (الجزء الأقرب ن الدوار إلى المرس)، المعروف ب" تَسْهْبِيثْ نْبُيْزَغْرَانْ" (شعبة أعواد التسقيف).

2-2-3- سلوكات لم تعد مقبولة:

ومن ذلك، ما يتعلق بتصرفاتنا تجاه الحيوانات والطيور التي نصادفها في طريقنا صباح مساء، والتي قد نباغتها أحيانا وهي لا تزال تقتات على الحشائش أو وأوراق الأشجار، أو تقضي حاجاتها الطبيعية بعيدة عن الجحور وخاصة الأرانب. وقد كنا نتخذها أهدافا "مشروعة" لاختبار مهاراتنا في الرماية بالحجارة. وكنا، في فصل الخريف و"التعشيش"، لا ندخر أي جهد للبحث عن البيوض في الأعشاش، وخاصة بيض الحجل، أو على "فراخ" الطيور الأخرى كالورشان والقيق والعقعق، والشحرور.

ومما لا يمكن نسيانه بهذا الخصوص، ما وقع لنا ذات مرة ونحن نتسابق لتسلق شجرة العرعر التي شيد العقق في قمتها عشه. ولم نكن نتوقع أن يسبقنا إلى الهدف ثعبان كان هو الآخر يبحث عما كنا نبحث عنه. فما أن أحس بتواجدنا حتى نط من العش نحونا، فرمينا بأنفسنا رميا دون تردد ولا تفكير. ولولا لطف الله لكنا في عداد الموتى، ولما أمكن اليوم الحديث عن هذه الذريات، لأن تلك الشجرة قائمة على هاوية سحيقة، بجانب مجرى "سْهَبْ نْبُخَامُوجْ" (شعبة بوخاموج).

أما بخصوص النحل، الذي كان متواجدا بكثرة خلال تلك الحقبة، نظرا لكثرة الزهور وتوفر ينابيع الماء. وكنا خلال فصل الربيع، وبداية فصل الصيف، نتفقد الأماكن المعلومة التي تتردد عليها، والتي نطلق عليها "تِسْفْرَ، للجمع، وتِسْفْرِيتْ، للمفرد"، أي العروش والمواطن. كما كنا نبحث عن العروش الجديدة، سيما إذا لاحظنا وجود تردد النحل على مورد مائي لم تكن بالقرب منه أية "تسفريت". فكنا نتتبعها من خلال ملاحظة الاتجاه الذي تسير فيه أثناء طيرانها إلى حد ما يمن رؤيته منها، ثم ننتقل إلى حيث وصل حد بصرنا في المرة الأولى، وهذا دواليك إلى أن نجد المخبأ الذي تتخذه مقاما لها، أو نفشل في مهمتنا. وحينما نجد مأوى النحل، نضرب موعدا لمعالجة أمره من خلال استخراج ما بالعرش أو الجبح من عسل، وتعبئة الحشرات (السرب) في وعاء نستقدمه لذلك الغرض لترحيله إلى مكان نتخذه كمنحل بجوار مساكننا.

وبطبيعة الحال، فهذه التصرفات، لا تتم إلا ونحن آئبون إلى ديارنا ، وخاصة حينما يكون الجو والوقت مناسبين، سيما في الربيع عندما يطول النهار.

ونختم هذا المقطع، بالتأكيد على أنه يجب الرجوع في كل ما ذكر بخصوص "بعض من المعاملات مع مكونات الطبيعة" إلى السياقات التي تم فيها. فلا يجب أن يعزب عن بالنا، أن من وجهة نظرة تلميذ ذلك الزمان وفي ذلك الفضاء وتلك الأجواء، لا يهمه إلا حاجاته البيولوجية الأساسية والمتلائمة مع سنه، أي ما يشبع بطنه، ويروي عطشه، ويدفئ جسمه. وما

عذا ذلك، فلا يهمه، خاصة وأن مبدأ المحافظة لم يكن معلوما ومطروحا بالمرة. فالمتعارف عليه، وما جرت به العادة في التعامل مع الحيوانات والطيور البرية والحشرات المتوفرة بكثرة إلى درجة الضرر والإزعاج أحيانا، أن ذلك قائم على المنفعة والانتفاع بما توفره من مواد ضرورية للمعيش اليومي، إضافة إلى ما يوفر كل ذلك من متعة لن يستشعرها إلا من جرب ذلك. ولذلك، لم يتم فهم تصرف المعلم تجاه العرض المقدم له بخصوص طائر "الحجل"، كما سبقت الإشارة إلى ذلك سابق. كيف يفهمون تصرفه، الذي لا يعرف بالضبط سببه، وصيد وقنص الطرائد، وتقفي أثر النحل والاستجلاء على جبحها من الأنشطة "الفطرية" المألوفة لدى الإنسان على مر العصور، وفي ذلك الزمان.

وبطبيعة الحال، ومع مرورالزمن أصبح كل ذلك مقيدا ومقننا. ولكن من الصعب أن ينضبط الكل للقيود، خاصة في مثل تلك البيئة، التي "تستفزك" فيها الطرائد في كل وقت وحين، ولاسيما في الصباح والرواح ، وأنت ذاهب أو عائد من المدرسة عبر غابة "بوخاموج". ذلك الفضاء المشهور بكونه الملاذ الآمن لمختلف الحيوانات البرية مثل الذئاب، والثعالب، ولأرانب الجحرية، والأرانب الكبيرة المعروفة القُوَاع (أرانب كبيرة الحجم تعيش خارج الجحور يطلق عليها محليا إسم "إِوْثَالْ") والقطط البرية وغيرها. كما كانت هناك عدة أنواع من الطيور، وخاصة منها الجوارح والكواسر، سواء الناشطة منا نهارا، مثل النسر الملكي، المعروف محليا ب"أمْدَّ

https://www.tamsomant.com/%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA/%d8%a3%d9%8e%d9%85%d9%92%d8%af%d9%91%d9%8e/)، والجدأة، ومَرْزْ إِخْسَانْ، وَإِسْغ، وَسِّيوَانْثْ، ولْبَازْ، وثْنِينَّ، وبُوعْمِيرَة، والحجل، والورشان، والعقعق، والقيق ، والشحرور، أو المتحركة ليلا كالصنف المنتمي للبوميات، الذي يفتضح بأصواتها المميزة المكسرة للسكون الليلي للطبيعة. ومن أشهر هذا الصنف الأخير، الثنائي المشهور باسمي "سْحَاقْ" (تحريف إسحاق) و"عْقُوبْ" (تحريف يعقوب) ((Petit-duc scops (Otus scops)، وبْرُورْ (نوع من البوم أو الهامة Le Hibou, Le Grand- Duc).

إضافة إلى الحيوانات والطيور، كانت غابة بوخاموج تعج بعدد من الحشرات والزواحف وعلى رأسها النحل الذي، على ما يبدو، لم يعد له وجود.

ومما قيل عن "سحاق" و"عقوب" و"برور" المذكورين أعلاه، نذكر ما يلي:

فبخصوص الأولين، فقد قيل عنهما أنهما كانا يهوديين أساءا الأدب مع نعمة الخبز فمسخا بسبب ذلك. فبحسب الموروث، فقد عمدا، بعدما شبعا من خبز إلى التراشق به. ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، وإنما حكم عليهما بالتباعد فيما بينهما بحيث لا يعيشان في موضع واحد ولا يلتقيان في مكان واحد أبدا. وقد حدثني في ذلك شخص، لا زال على قيد الحياة، أنه قد لا حظ بنفسه ذلك التباعد وتأكد منه. وقد حدث ذلك في مساء يوم من الأيام، وهو يهم بإدخال قطيعه إلى الزريبة قبيل الغروب بقليل، لما سمع صوتي الطيرين، أحهما في منحدر الوادي الذي يمر بالقرب من مسكنه، والآخر، في الجهة المقابلة. وقد استغرب ذلك لأنه لم يسبق له أن سمع صوتيهما، وهو المشهور الذي لا يخفى على أحد في المنطقة، في ذلك الوقت، فتوقف يراقب ويلاحظ. فبينما هو كذلك، إذا بالطائرين وهما ينطلقان في السماء وفي وقت واحد

وكأنهما ضربا موعدا لذلك. ولكن طيرانيهما كانا في اتجاهين معاكسين، أي تبادلا موقعيهما دون أن يلتقيا.
أما فيما يرجع لــ، "برور"، فقد كان صوته الذي يشبه صوت التيس مرعبا للأمهات الحديثة الولادة خوفا على رضعهن. ويعود السبب في ذلك بحسب الموروث المتناقل، إلى مزاعم تتحدث عن ولوع أو قدرة تلك الطيورعلى إرضاع الرضع البشرية ليلا في غفلة من أمهاتهم، فيموتون اختناقا من جراء ذلك. واتقاءا من ذلك، كانت تتخذ كامل الاحتياطات بإغلاق كل المنافذ التي تتواجد في الغرف التي تبيت فيها الأمهات المذكورات برضعهن، سيما. ويزيد الأمر خطورة، إذا ما سبب أحد أقاربهن أي أذى لهذا الطير المخيف من قبيل تدمير عشه ، أو تكسير بيوضه، أو تدمير عشه .
وحفاظا على أصالة الموروث، واحتراما لرغبة مبدع أو مبدعي هاتين الحكايتين، فسوف أحتفظ لنفسي برأيي فيهما، مع الإشارة إلى أن الحكاية المنسوجة عن "سحاق" و"يعقوب"، قد أدت، إلى جد ما، دورها وحققت مغزاها. فما فائدة الوعي إن كان مدمرا للقيم ومبعثا للفساد والإفساد؟

2-2- 4- الخوف والتخويف:

ومن أغرب الذكريات مع الطريق ما وقع لنا ذات مرة مع أحد أبناء البلدة الذي يعيش عنها بعيدا في بولمان، والذي يتردد عليها من حين لآخر. ففي يوم خريفي، ونحن عائدون من المدرسة وقد مس الجوع بطوننا، عمدنا إلى شجيرة معلومة لدينا من نوع "تَاقَه"، حباها الله ثمارا، أي بلغة أهل البلد "بَضِيرِ"، حلوة المذاق. وهذا الخير، عبارة عن كريات تنمو على الأغصان المشوكة للشجرة. وهي تنشأ خضراء ثم تصير في الأغلب حمراء عند النضج، قبل أن تسقط وتتحول إلى لون أسود قبل الاندثار.

وهذه الثمار وإن كانت قابلة للأكل، فإن مذاق أكثرها غير مستساغ. ولذلك، لا يتناول منها، إلا المنتقى من شجريات قليلة مثل "شجرتنا"، التي نتحدث عنها والتي كان لون ثمارها من النوع النادر الذي لا يتغير لونه مع النضج، والتي، مع الأسف، انقرضت، ربما بفعل تراجع التساقطات المطرية، أو بفعل يد حطابة لا ترى فيها إلا حطب نارها. فقطع كل واحد منا غصينا من أغصانها المملوءة ب"بضير"، ثم استأنفنا السير نتجاذب أطراف الحديث، كالعادة، غير آبهين لا بما حولنا ولا بما أمامنا وخلفنا، سيما وأن النظر إلى الوراء، تشوش عليه أشعة الشمس التي بذأت تهوي نحو المغيب، ونحن مع ذلك لا ننسى الاقتتات على ما جنينا.

وبينما نحن كذلك، إذا بصوت مباغت يصيح من خلفنا " يِّيه أَقُطَّاعْ شْجَرْ يِّيه ". صعقنا بالصوت الغير المتوقع، الذي خلناه صوت حارس غبوي يتفقد الغابة، رغم أن سيره راجلا وهيئته لا توحي بذلك. ولكن من يدري، فقد يكون من صنف أحد الذين مروا بالمنطقة المعروف بتفقده أحوال الغابة مشيا على قدمية وبلباس قريب من لباس أهل البلد. وعلى الرغم، من مفاجأته لنا، فلا شك أن كل واحد منا قد وثق له في ذاكرته بصورة ما.

وفيما يتعلق بي، فعلى الرغم أن النظرة كانت سريعة ولحظية، فقد كان يرتدي جلبابا وملتحفا ب"سلهام" أسود أو أزرق اللون، ويحمل بيده كيسا من الأكياس التي كانت "قوالب" السكر تعبأ فيه للتسويق، أي المصنوعة من النبتة المشهورة باسم (الجوت/ الجوتة / قنب كلكتا / القنب الهندي).

وفي ردة فعل عفوية موحدة، تخلصنا مما بأيادينا ثم اطلقنا سيقاننا للريح. وبعد أن ابتعدنا قدر ما يسمحنا بالتأكد مما جرى ومحاولة التعرف على من "كدر" صفو نشاطنا، توقفنا واقتسمنا المهمات: بحيث تكلف إثنان منا وهما أكبرنا سنا، بمهمة انتظار ظهور "الغريب"، وإشباعه "السب والتعيير"، قبل استئناف الجري للحاق بنا، أنا، والفرد الرابع الذين تكفلنا بحمل محفظتيهما. كيف لا وهما في مهمة "خطيرة" ولكنها في نظرنا آنذاك "شريفة". وبالفعل، تم المخطط له، وتم اللحاق بنا وواصلنا جميعا الركض بمستويات مختلفة، بحسب ما تبقى من الجهد، إلى أن ظننا أننا في مأمن من الخطر. فاستأنفنا سيرنا المعتاد إلى أن وصلنا إلى "تاقة" المعهودة التي لا نتجاوزها عادة إلا بعد الانتهاء من هويتنا المعهودة، أي القفز العلوي فوقها. فقضينا هناك ما شاء الله لنا أن نقضيه. ولما انتهينا واستأنفنا المسير، إذا بأحدنا يلتفت إلى الوراء ثم يرجع البصر مسرعا ومتمتما "يا ويحنا، ما ذا فعلنا، إنه العم "أحمد"، أي ابن عم أب أحدنا الذي يسكن في "أغرم".

صعقنا مرة أخرى، وهذه المرة من شدة الحرج الذي أصبحنا فيه، وجف الريق في حلوقنا تماما وأصابنا الذهول وخرست ألسنتنا، فلم نتجرأ على انتظاره للسلام عليه، "خوفا" أم "حياء"؟ لا يهم ما دام: "الخوف من الحياء، والحياء من الخوف"، كما يقال.

تمادينا في السير دون النظر إلى الوراء، لا يكلم أحدنا الآخر، إلى أن فرقت بيننا الطريق. زملائي الثلاثة، قصدوا جميعا "أغرم" حيث يسكنون، متبوعين بعمي "أحمد" الذي سينزل ضيفا على أسرة أحد الثلاث باعتباره من أقاربها. أما أنا، فقد سرت لوحدي نحو "إنيرز" الذي يتواجد فيه محل سكناي، المتواجد في الضفة اليمنى لواد "لمعاصر"، بعيدا عن موقع "أغرم" بما يقارب الكيلومتر. وقد بت تلك الليلة مهموما، منشغلا بالمصير الذي قد ينتظرنا غذا مع الأهل، وربما مع المعلم أو السلطة المحلية. فمصيرنا بيد عمي "أحمد".

وفي الغد، سارعت باكرا على غير العادة للحاق بالزملاء لاستجلاء أمر عمي "أحمد". وكان أن تأخر الزميل الرابع الذي بات عندهم الضيف عمنا "أحمد". وانتظرناه قدر ما يسمح به الوقت. وما كدنا نرمقه حتى أطلقنا عليه وابلا من الأسئلة من قبيل: هل اشتكى الأمر لوالدك؟ هل سيشتكينا للمعلم؟ وهل.... ولكن، والحمد لله، كان الجواب والرد مطمئنا للغاية، لا خوف، لا خوف، والابتسامة تغمر محياه: "ليس هناك أي شيء مما تسألون عنه !!! على العكس، اعتذر لي عمي "أحمد" عما صدر منه، وطالب بالسماح له مما سببه لنا من خوف وإزعاج، ولم يذكر ذلك بتاتا لوالدي".

تنفسنا الصعداء وعادت لنا الطمأنينة. ومن تلك الساعة، وعمنا "بجرين"، رحمه الله، لا يزيد في عيوننا إلا شموخا وفي قلوبنا إلا محبة وتقديرا.

وفي نفس السياق، وبحسب ما أفاد به سيدي محمد أفتيس، وهو كما سبقت الإشارة إلى ذلك، من قدامى هذه المدرسة، فما وقع لنا مع عمي "أحمد" لم يكن سابقة من نوعه في ذلك الطريق، أي "بوخاموج". فقد سبق لأحد الأشخاص أن حاول تخويفهم، هو وزملاءه، حينما كانوا بدورهم يترددون على مدرسة المرس في أيام الاستعمار. وقد وقع ذلك قبل سنة 1953، حينما حاول شخص، وهو لا زال إلى وقتنا هذه على قيد الحياة، اعتراض سبيلهم أثناء عودتهم من المدرسة وسط الغابة، بحيث خرج إليهم من مخبئه مجردا من ثيابه وهو يزأر كأنه حيوان

مفترس. إلا أن فطنتهم وثباتهم مكنا من كشف أمره بسرعة، فتمكنوا من السيطرة عليه وإشباعه ضربا بأغصان شجرة "تاقة" المشوكة. ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل، لما سمعوا أنه يتباهى بفعلته أمام أقرانه، قدموا به شكاية لدى المرحوم "سعيد أمحند"، قائد القبيلة منذ الفترة الموالية لاستسلام آخر المجاهدين السغروشنيين في جبال تيشكت (1926) وإلى حصول المغرب على الاستقلال. وقد استدعاه هذا الأخير ووبخه بمثل هذا الكلام: "مَيْشْيُوغِينْ سْبُيْفَدَّنَنْشْ !!! نْشْنِ نْتِنِ مَوْرْتْقْرَنْ لْوَشُونْ شْكِّينْتْ تْسْخْلَغْتَنْ" (ما دهاك! أأعجبتك قوتك !!! نحن نشجع الأطفال على التحصيل وانت تنفرهم وتثبطهم بالتخويف). وقد سجنه مدة ليكون عبرة لغيره.

وما دمنا في مجال الخوف والتخويف، وكما سبق التلميح لذلك في المقطع الخاص بالتوطئة حول الظروف التي تم فيها الالتحاق بالمدرسة، فلابس من ذكر ما جرى لي مع "البغل" الذي خلته "بغلة القبور" المذكورة.

فقد حدث ذات مرة وأنا في طريقي منحدرا نحو "إنيرز"، حيث أقطن كما ذكرت سابق، بعدما افترقت مع زملائي في مدخل "أغرم"، وقد مر جزء من الليل ووقت صلاة المغرب قد فات منذ مدة، ولكن الليلة كانت مقمرة ، أن سمعت ما يشبه رنين سلسلة معدنية. وكلما زدت انحدارا نحو القنطرة للمرور إلى الضفة الأخرى زاد الرنين قوة. فبدأت أتساءل ما هذا يا ترى؟ وأحاول أن أصرف عني كل الهواجس والتهيئات وأن أثبت وأقاوم وأن أستمر في نفس الاتجاه. ولكن ما إن انحدرت أكثر نحو القنطرة، ولم يفصلني عنها إلا بعض عشرات الأمتار، ولم يبقى من الحواجز إلا الحاجز الذي تشكله الساقية التي تسقي مزارع البلدة، حتى لمحت جسما قد تخطى ذلك الحاجز ويسير في اتجاهي، تسمرت في مكاني أراقب للحظات، وأتساءل ما هذا يا إلاهي؟ وما أن تيقنت أن الأمر يتعلق بدابة وأن الرنين رنين "سلسلة، حتى أحسست أنني أحمل جبلا لا رأسا، وأن شعره قد وقف واستقام. يا إلاهي ما هذا؟ أأصبحت حقا أمام "بغلة القبور" التي لطالما تحدث عنها الكبار خلال أحاديثهم عن الوقائع والمغامرات؟

لم أتردد كثيرا في الاستسلام لغريزة الخوف والبحث عن النجاة. فقررت الهروب يمنة لمساري نحو هاوية تطل على الوادي، بعدما توقفت هنيهة في ظل شجرة، كما تنصح الروايات في مثل الحالة. ولكن، ما الفائدة من ذلك وليس لدي أي سكين أغرزه في الأرض كي أتقي شر هذا المخلوق الغريب. كما قلت في نفسي، ولو لدي سكين، فأين لي بالشجاعة التي تمكنني من ذلك؟ وانطلقت مسرعا في الاتجاه المختار. ولسوء حظي سقطت على مؤخرتي، أعزكم الله، بعدما مررت على مجموعة من ثمار البلوط المتساقط من أشجار السنديان (أشجار البلوط الأخضر) التي صادفتها في طريقي. ومن شدة الخوف، لم يتسع الوقت لاستكمال السقطة، وإنما قمت مسرعا واندفعت اندفاعا إلى الأمام، يساعدني في ذلك، انحدار الأرضية التي أتحرك فوقها، باحثا عن مسلك يجنبني الهاوية ويفضي بي، في نفس الوقت، إلى القنطرة للعبور إلى مكان آمن. وقد خيل إلي أنداك، أن المكان المقصود لا زال بعيدا، وأن لا وجود للحياة البشرية في ذلك الوادي، على الرغم من أن بعض المساكن لا يفصل بيني وبينها إلا مجراه المائي.

وبالفعل، تمكنت من الوصول إلى القنطرة متخفيا في ظل حاجز حجري مبني لتثبيت الأرض وإعدادها للزراعة. ومن شدة الخوف، واختصارا للطريق، لم ألج إلى القنطرة من المكان المعهود، وإنما تسلقت إليها عبر شجرة متلاصقة بها. وما أن تجاوزت القنطرة، حتى تبينت

صوت أخي (رحمه الله) في حديث مع أحد السكان، فتيقنت أن الجسم الذي هالني لم يكن "بغلة القبور"، كما توهمت، وإنما بغل حقيقي ساقه أخي إلى أن التقى مع الطريق التي ستقوده إلى "أغرم"، حيث توجد إقامة مالكته (رحمها الله) و الإسطبل الذي ألف فيه المأكل والعلف فأطلقه بعدما ثبت "الرسنle Licol " (محليا يقال له رسم)، الذي يتشكل جزء منه من مكونات معدنية من بينها سلسلة، في عنقه. وقد كان في نهاية يوم شاق شارك فيه بغلنا في جر المحراث الذي كان أخي يحرث به الأرض.

وقد اعتبرت هذه الحادثة، التي لم أخبر بها أحدا إلا بعد مرور حوالي عقد من الزمن خوفا من أن يستهزأ بي، درسا تطبيقيا نموذجيا لما حفظته ذاكرتي من أحاديث مشابهة، اختلطت فيها الأمور لدرجة لا يمكن الفصل بينها والحكم عليها حكما مبرما. فأمثال هذه الحكايات موجودة في مختلف الحضارات. وبذلك فهي موروث بشري بامتياز. فهي تشبه إل حد ما ما يعرف "الإنسان الذئب" أو "المستئذب"، أو ما يعرف بالفرنسية ب"le loup garou". فكلاهما يتعلق بمخلوق بشري، إمرأة، في حكاية "بغلة القبور"، ورجل في "المستئذب". وكلاهما يتحول عند اكتمال البدر إلى مخلوق هجين، قوائم بغلة متسلسلة عند الأولى ووجه ذئب عند الآخر.

ولمن لا يعرف قصة "بغلة القبور"، بطبيعة الحال بحسب الموروث الشفهي، حتى لا تثور ثائرة "المدافعين" عن "حقوق" النساء ويتهمونني بالإساءة إليهن، فإن فكرتها قائمة على إخلال المعتدة المتوفى عنها بالمرعيات الشرعية وارتكبت معصية، تبتلى بتلك البلدية، التي يتحول بموجبها رجليها، أثناء النوم، إلى قوائم البغلة فتتسلل إلى الخارج لتقضي ما تبقى من الليل خارج المنزل الذي خرجت منه، تزور خلالها المقبرة أو المقابر الموجودة بالقرب من مسكنها، وتتقلب (تتمرغ) في المزابل، وخاصة في مطارح الرماد كما تفعل الدواب، وتبقى على تلك الحالة إلى أن يصبح الصباح فتعود إلى حالتها الطبيعية.

ومما كان شائعا، أن "بغلة القبور" يمكن أن تؤذي من تلتقيه في طريقها، وأنه لا ينجي من ذلك إلا تسلق الأشجار، والاختباء في الظلال، وخاصة غرز سكين في الأرض، حتى تقف في مكانها كما لو ربطت إلى وتد فلا تكاد تفارق مكانها. بل، قد قيل إنه ما أن يفعل بها ذلك، حتى تعود إلى حالتها الطبيعية متوسلة إلى الفاعل أن يسترها وألا يفضح أمرها بين الناس ويكشف سرها. والأحاديث عن ذلك كثيرة. والغريب أنني سمعتها ممن أثق فيهم والله أعلم. أما شخصيا، فلم يسبق لي أن وقفت على شيء من هذا القبيل، ما عدا، بطبيعة الحال، الحالة التي بينتها في الفقرات السابقة، والتي لعب فيها، "البغل الحراث" دور البطولة عن غير قصد.

2-2-5- عربة من إنتاج محلي:

من الأشياء الطريفة التي قمنا بها ولم نر لها نماذج واقعية من قبل، اتخاذ أغصان الأشجار كعربات للعب أو لنقل أشياء والقيام بجرها يدويا لمسافة، إما من طرف شخص أو أكثر. وفي يوم من الأيام، ونحن عائدون من المدرسة صادفنا حميرا وهم يرعون بجانب الطريق. فتوقفنا، ومعنا متسعا ن الوقت قبل الغروب، فسولت لنا نفوسنا الانتقام من تلك الحمير بسبب الأضرار التي يلحقونها هم أو غيرهم بمزروعات بلدتنا. فتعاونا على تكسير فرع شجرة من أشجار العرعر، نظرا للطافة أغصانها وأوراقها، وأعددنا حبلا من أوراق نبات الحلفاء، ثم عمدنا إلى أقوى الحمير فربطنا الفرع المعد إلى عنقه من الخلف بإحكام. فلما أتممنا، عملية الربط، وقد كنا أربعة، تقاسمنا فيما بيننا، فارتقى اثنان ظهر الدابة، وركب الآخران على سطح الفرع،

وانطلقنا مسافة، ثم تبادلنا الأدوار، إلى أن أدركنا الوقت فانصرفنا بعدما قمنا بفصل " العربة العجيبة" عن "القاطرة الأعجب"، لتنطلق وننطلق بدورنا إلى حال سبيلنا. فاللهم اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

2- 3- ذكريات أهم الأحداث على صعيد المنطقة خلال الفترة المدروسة:

بخصوص هذا الموضوع، وعلى الرغم من أن سني لا تسمح لي بالانتباه إلى ما يجري حولي آنذاك من أحداث يتجاوز صداها مسقط رأسي، فلم تستطع ذاكرتي نسيان ثلاثة أحداث اهتزت لها أركان المنطقة برمتها. ويتعلق الأمر بـــ:

- الجريمة النكراء، التي كان عنصراها، الجاني والضحية، من أبناء أحد فروع القبيلة؛
- حادثة السير التي وقعت لحافلة النقل الرابطة بين صفرو والمرس.
- الزيارة الملكية الرسمية التي قام بها المرحوم الملك الحسن الثاني إلى إيموزار مرموشة؛

2- 3-1- جريمة نكراء هزت أركان القبيلة:

ففيما يخص هذه الواقعة المفجعة، فقد تلقينا خبرها ونحن، على ما أتذكر، في المرس في ساحة المدرسة أو خلال الفترة المخصصة لتناول الغذاء. وتتلخص وقائعها فيما يلي:

أن أحد الشبان قد أطلق الرصاص من بندقيته من نوع ما يعرف ب"بُوحَبَّه" (نوع من السلاح كان معروفا ولا زال يستعمل في مجال نوع من ألعاب الفروسية، وهو المعروف بالمغرب بـــ" تْبُورِيدا")، على شاب مثله من نفس بلدته فأرداه جريحا قبل أن يجهز عليه بمديته فيقتله، قبل أن يمثل بجثه شر تمثيل.

وقد تبينا فيما بعد، أن المقتول ممن نعرفهم. فهيئته البدنية القوية، وحماسة حواراته مع من يتحدث معهم في زياراته المتكررة للمرس، توحي بأنه كان جريئا وربما متطاولا. ولا زالت صورته مرسومة في مخيلتي، عن آخر مرة رأيته فيها، إن لم تخني الذاكرة، حينما اقتحم علينا الدرس أو الساحة، ليتجاذب أطراف الحديث بحضورنا مع معلمنا. وقد وقع ذلك، وهو قادم من سكورة، في يوم بارد. وقد كان مرتديا معطفا من جنس المعاطف الخاصة بالجنود. ومن خلال تذكر طريقة كلامه مع المعلم، ونبرات صوته وحركات يديه، خيل إلي فيما بعد أنه ربما كان في اجتماع أو تجمع سياسي أو ما شابه.

وبخصوص تلك الجريمة النكراء، فلم أكن أعرف، ولا زلت أجهل لحد الآن ، السبب الحقيقي أو الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها. ولكن كيفما كان الحال، فمن المستبعد أن تكون نتيجة الخطأ في استعمال السلاح. فالجاني، وكما روي عنه، أنه ادعى، أثناء الترافع أمام هيئة المحكمة المعينة للنظر في تلك الجريمة، أنه كان في حالة الدفاع عن النفس. وقد كان يطمع من وراء ذلك أن يحظى بظروف التخفيف. إلا أن الهيئة المذكورة لم تقتنع بذلك. بل أكثر من ذلك، فقد طبقت عليه ظروف التشديد المتمثلة في سبق الإصرار بالإجهاز على الجريح بمدية، وفي التمثيل بجثته بعد ذلك. وبالتالي حكمت عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.

إلا أن مشيئة الله قضت ألا يموت في السجن، وأن يستنشق نسائم الحرية من جديدة. فقد استفاد عدة مرات من مسطرة العفو المطبقة على نزلاء السجون. وبمقتضى ذلك، فقد تم تحويل عقوبة

السجن المؤبد إلى السجن المحدد، على ما أظن في ثلاثين سنة، ثم إلى ما دون ذلك إلى أن تم الإفراج عنه في وقت من الأوقات، فخرج من السجن كهلا بعدما دخله شابا، ليعيش من جديد بين أهله ودويه قبل أن ينتقل بدوره، رحمه الله، إلى دار البقاء.

وإلى جانب استبعاد سبب الخطأ، يمكن استبعاد كذلك سبب الثأر. فلو كان الأمر ثأري كما قد يتبادر إلى الذهن، لكان الأولى أن تتم العملية في أوقات أكثر ملاءمة، مثل الفترة التي تلت انطلاق عمليات جيش التحرير، بتاريخ 2 أكتوبر 1955، وما تلاها، حيث طغت ظاهرة الانفلات الأمني على كل الظواهر الأخرى.

وكما هو معلوم، فقد شهدت تلك الفترة تجاوزات كبيرة وخطيرة، وخاصة على أيادي من كانوا يحسبون على جيش التحرير، أو من أتباع حزب معين. وبخصوص المحسوبين على جيش التحرير، فلا زلت أتذكر جيدا يوم حلت بدوارنا فرقة منهم. وقد كاد ذلك، حوالي شهر نونبر من سنة 1955، حيث لم تسقط بعد أشجار الصفصاف أوراقها رغم الصفرة التي اعترت جلها. وقد تزامن ذلك مع فترة "حجري" الصحي بسبب عملية "الختان". ومع ذلك، فإن آثار تواجدهم ومرورهم من هناك قد اقتحمت علي عزلتي.

ومن تلك الآثار وأشدها، سماعي رشقات أسلحتهم وهم يستعرضون قوتهم لترهيب الساكنة، حينما حاولوا اقتناص، حقيقة أو تظاهرا، كلب مسكين مرعوب كان يحاول، كما قيل لي، الهروب من مسرح الرشقات الأولى، إلا أنه قد نجى ولم يصب بأي أذى. وقد شاهدت بأم عيني الأغلفة النحاسية "للرصاصات" المطلوقة ولامستها بيدي حينما تم الإتيان بها إلى للتسلية. ومن شدة طغيانهم، كانوا يفرضون على الناس استقبالهم في منازلهم وتوفير المأكل والمشرب لهم. وقد كانوا ينتزعون من البعض الذبائح التي تذبح لهم. بل بلغت بهم الجرأة إلى اقتياد بعض ذكور الدوار إلى المعتقل الذي أقاموه في المكان المعروف ب"ثفرث" بالقرب من جبل "بويبلان" المشهور. وقد أقاموا هناك فترة غير يسيرة لا أعرف بالضبط مدتها في ظروف مناخية جد قاسية، وسط الثلوج وربما تحت التعذيب، إلى أن تم الإفراج عنهم مع بزوغ فجر الاستقلال.

أما بخصوص، بيادق وسماسرة وأيادي الحزب المذكور، فقد وجدوا في إعلان الاستقلال وما تبعه فرصتهم الذهبية لمحاولة فرض سلطتهم على المنطقة. كيف لا والبادية بصفة عامة، والمناطق الجبلية بصفة خاصة، أفضل مكان للتحرك بدون حرج وبدون رقيب. فحاولوا بسط "سيادة حزبهم" على تلك المناطق. والأمثلة على ذلك عديدة ومتنوعة. ومن جملة ذلك، فرض إتاوات على شكل بيع بطاقات الحزب بعشرين ريالا (مائة فرنك بحسب سكة ذلك). وبحسب من كان يساعد على توزيع تلك البطائق، قد يتضاعف الثمن مائتي مرة ليصل إلى أربعة آلاف ريال (عشرون ألف فرنك)، في السوق السوداء. وهذا بالخصوص، لمن كان ينظر إليه على أنه من "الخونة"، وبالتالي يهرول وراء مسح التهمة والحصول على التزكية. ومن ذلك كذلك، الإيعاز إلى الناس، ترغيبا وترهيبا بالتبرع ب "جلود " الأضاحي. وقد تكون هناك تحملات أخرى على شكل غرامات تفرض في إطار الأحكام التي يصدرها منسقوا الحزب ومن يساعدهم في المحاكمات التي يقيمونها من حين لآخر للفصل في بعض القضايا، أمام غياب المحاكم الرسمية. وفي هذا الصدد، فقد وجدت ضمن "ربائد" (أرشيف) العائلة مخطوطا على شكل استدعاء كان قد وجه لأخي حوالي سنة 1957، للحضور على وجه السرعة، إلى المكان

المسمى "سهبوعير"، للمثول أمام ممثل الحزب في دعوى عقارية

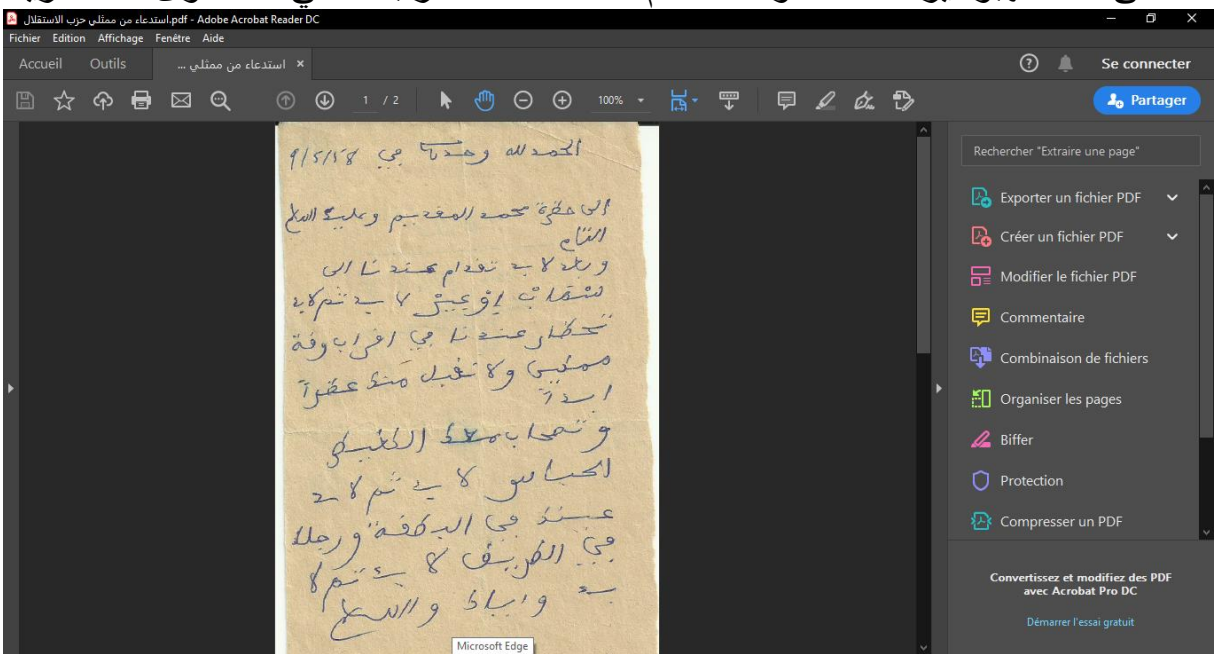

ومن أشهر العبارات المتداولة بين الناس فيما مضى للحث على سرعة التنفيذ أو الإنجاز، والتي قد تدبج بها الكتابات أو تذيل عبارة:" بلل رأسك هناك ولا تحلقه إلا وأنت هنا".

ومن جملة التجاوزات التي قام بها الحزب السالف الذكر كذلك، فرضه على شباب الساكنة اقتناء بدلات موحدة تتكون من قميص وسروال شبه "قندريسي" طويل باللون الأبيض، و"طربوش" مخزني (وطني) أحمر. وقد حدد ثمن تلك البدلات، بحسب القيمة الإبرائية للنقود في ذلك الوقت، في ألف ومائتي ريال للواحدة.

والغرض من فرض ذلك اللباس الموحد، على ما يبدو، هو تكوين خلايا مدربة، أي مشاريع مليشيات، لأهداف غير معلنة، ولكن تبين فيما بعد أنها لفرض فكرة الحزب الوحيد، كما كان عليه الأمر في عدة دول كمصر، وسوريا، والعراق وغيرها، إذا اقتصرنا فقط على الدول العربية. وكان عدد البدلات المفروضة على كل دوار، يختلف، بحسب ما فهمت ممن تحدثوا عن ذلك، يتناسب مع عدد السكان. وتبعا لذلك، فقد كان نصيب دوار أيت مخشون من "الغنيمة" المدسوسة والمسمومة، عشر بدلات. وقد تم الشروع بالفعل في تنفيذ الخطة المرسومة بفرض تدريبات عسكرية على "المجندين" في إطار تلك العملية. وقد همت على الخصوص، ما كان يعرف ب "لْجَرْصِيصْ/l'exercice"، أي التدريب العسكري.

وقد كنت ألحظ ذلك بأم عيني ويثير انتباهي. وكان يتم على شفق ربوة تعلو منزلنا نحو الشرق، تسمى "تِشُّوتْ أُنْزَارْ" (ربوة البندر أو مكان دراس الزرع). وما كان يستهويني أكثر، حركاتهم وأصواتهم التي تصل أحيتنا إلى مسامعي وهم يرددون" واحد جوج ؛ واحد جوج/ Un deux Un deux". ومما زاد من استغرابي، العصي التي كان كل واحد منهم يضعها على كتفه.

وبعد هذا الاستطراد الخاص ببعض التجاوزات التي كانت المنطقة التي وقعت فيها الجريمة مصرحا لها خلال الفترة المذكورة، والتي كانت وقتا مناسبا لتصفية الحسابات القديمة، نستنتج، والله أعلم، أن الأمر أبعد أن يكون بسبب الثأر.

وبعد استبعاد الفرضيتين السابقتين، أي الخطأ والثأر، لم يبق إلا فرضية المشاحنة والتطاحن من أجل سبب أخر، والذي أرجحه شخصيا، والله أعلم، أن يكون سياسيا. ومما يدفع إلى تبني هذه الفرضية، حماسة كلام المجني عليه رحمه الله، أثناء نقاشه مع المعلم كما سبق ذكر ذلك، وبعض الكلمات التي، إن تذكرت ذلك جيدا، كان يتفوه مثل " الخونة" و"المنافقين أو النفاق". والتي توحي بأنه كان في صراع مع طرف أو أطراف بخصوص مبادئ ما.

وإذا ما عدنا إلى الفترة التي وقعت فيها الجريمة التي نحن بصدد تحليل الملابسات المحتملة المحيطة بها، وحاولنا التمعن فيها، فإننا سنجد أنها غير بعيدة عن الأحداث والوقائع التي ميزت فترة ما بعد الاستقلال. وكما هو معلوم، وخاصة بالنسبة لمن عاش تلك الأزمنة أو قرأ شيئا مما كتب عنها، فإن تلك الحقبة، اتسمت على الخصوص، إلى جانب الجهود المبذولة في سبيل إقامة وبناء أسس دولة المغرب المستقل، بوقوع أحداث ووقائع وأنشطة بعضها مؤلم وخطير لا زالت تأثيراته وتبعاته لم تنته بعد.

فمن جملة الأسس والركائز التي كان على المغرب المستقل أن يقيمها ويرفعها، قواعد نظام الملكية الدستورية، إحداث المجلس الوطني الاستشاري(3 غشت 1956)، تعيين ولي العهد (سنة 1957)، وبناء الجيش، والشرطة وباقي المصالح الأخرى مثل المطافئ، وتحديث الإطار القانوني من خلال إصدار جملة من الظهائر المنظمة لعدد من المجالات: كمدونة الأحوال الشخصية والميراث /الكتاب الأول والثاني (ظهير 22 نونبر 1957)، والوظيفة العمومية (ظهير 24 فبراير1958)، والنظام القضائي، والحريات العامة (ظهير15 نونبر 1958)، قانون الصحافة (ظهير 27 نونبر 1958)، والنظام النقدي و المصرفي، (ظهير 30 يونيو 1959 بإحداث بنك المغرب)، والنظام الانتخابي الخاص بالمجالس الجماعية (ظهيري 1.59.161 و 1.59.162 والنصوص المنبثقة عنهما، الخاصين على التوالي بانتخاب المجالس الجماعية، وبتنظيم الانتخابات).

أما بخصوص الأحداث والوقائع والأنشطة الأخرى، والتي لا زال تأثير وتبعات بعضها محسوسا إلى الآن، فإن أهمها وأكثرها خطورة ما سمي في بعض الكتابات ب"عصيان"، عدي وبهي سنة 1957، و"عصيان/ثورة" الريف في نهاية سنة 1958 وبداية سنة 1959.

ولا بأس من وقفة مع هذه الأحداث الأخيرة، لأن صداها وحرارتها قد وصلت إلى منطقتنا التي تعنينا في المقام الأول، ألا وهي المرس والجوار. فلا زلت أتذكر صبيحة يوم من أيام الخريف حينما تفاجأنا بتواجد الطلائع الأولى للقوات المساعدة بالدوار، والتي شرعت في تفتيش المنازل بحثا عن الأسلحة والذخيرة، وتعتقل كل بالغ من الذكور لتسوقهم نحو مكان التجمع في الجزء المعروف من الدوار ب"أغرم"، قبل أن يتم نقلهم فيما بعد من هناك إلى تجمعات أكبر في المرس ثم في سرغينة حيث تتم عملية الفرز لتسريح البعض والاحتفاظ بالآخرين وتوجيههم إلى السجن في بولمان.

وحتى إمام الدوار لم يسلم من تلك الاعتقالات. ولا زلت أتذكر كما لو كان ذلك بالأمس فقط، حينما أخذ الجنود وضعيات الاستعداد لإطلاق النارمتمترسين بالمتاريس الطبيعية المحيطة بمنزلنا " أَغَرْمْ إنيرز". وحينما تقدم جنود برفقة عون السلطة (الشيخ)، الذي يتبع له دوارنا، والخوف باد على وجوههم، قبل أن يبادر الشيخ والدتي رحمهما الله بالقول، على الرغم من أنه يعرف أنها أرملة:" خالتي ...، إذا ما وقع وأطلقت رصاصة على الجنود فلن تلومي إلا نفسك". وقد أجابته فورا: "من الذي سيطلقها يا شيخ... اللهم إلا إذا كان ذلك من سيدي لحسن" (تقصد جد أيت مخشون المدفون بالدوار).

والحقيقة، أن الخوف من "دهاليزأغرم إنيرز"، الذي يعد أضخم بناية في الدوار، حال دون تفتيش كل مكوناته بالدقة المطلوبة. والحقيقة كذلك، أن التفتيش المباشر في الدوار وما صاحبه من اعتقالات، ما هو إلا توطئة لما ينتظر الجنود فيما يسمى بجبل "عدني"، الذي يشرف على مساكن المكان المعروف بـ"تِنْمْلَلْتْ"، والذي لا يبعد عن دوار "أَيَرْزِي" إلا بكيلومترات لا تتعدى أصابع اليد الواحد. وقد اتخذ هذا الدوار الأخير، كمركز لقيادة العمليات ضد "إمْغَوْغَنْ" (الثوار) المتواجدين في الجبل المذكور، والذي لا يعدو أن يكون مرتفعا أكثر منه جبلا. ذلك، أنه إذا ما صحت قياسات جوجل، فإن علوه لا يتعدى ألف وخمسمائة متر عن سطح البحر.

وربما اختير هذا الجبل، ليس لعلوه، وإنما لقربه النسبي من منطقة الريف، وسهولة الوصول إليه بالنسبة للراجلين والمستقلين للدواب، وبعده شيئا ما عن المسالك التي قد تستعملها الآليات العسكرية، مقارنة مع غيره ك"بولمسكر" الذي يتجاوزه في الارتفاع، أو "بويملالن"، الذي يتشابه معه في عدة جوانب. وقد سميت تلك "الثورة" ب "ثورة الهراوات"، لأنها، تكاد أن تكون خالية من الأسلحة النارية، لولا البندقية الوحيدة، حسب المزعوم، التي تم بها قنص أحد الجنود، الجريح الوحيد في تلك المغامرة، بعدما تجرأ على الاقتراب من الجبل المعلوم.

ومن حسن الحظ، أن الإنصات إلى صوت العقل والحكمة قد تغلب في الأخير، فتفرقت الجموع بعد الخطاب الذي ألقاه الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله، وإلا لتطورت الأمور إلى ما لا تحمد عقباه، خاصة بعد التعزيزات العسكرية التي وصلت إلى المنطقة بما فيها المدافع القابلة للحمل على الأكتاف والدواب، والتي تم التخلي عن بعض صناديق تعبئتها في عين المكان بدوار أيت مخشون.

ولا زال صياح القائد لحسن الزروالي، في وجه خالي "محند"، رحمهما الله جميعا "، وأنا أراقب المشهد من أمام "أغرم إنيرز"، بينما هما ومجموعة من الناس في المنحدر المتواجد شرق المسكن المذكور، يرن في أذني وهو يقول: "أُرِثَنِّيثْ، إدَّ يُونِ، أُرِثَنِّيثْ دَّانْ سِينْ، أُرِثَنِّيثْ دَّانْ شْرَاطْ" !!! (لم تخبرني بذهاب واحد أو إثنين أو ثلاثة) المقصود بالذهاب هنا، الالتحاق بالزمرة المعتصمة بالجبل السالف الذكر، الذين تعتبرهم السلطات "غوغائيين" (إمْغَوْغَنْ= (تحريف وتمزيغ لمفردة الغوغائيين). والخال يرد عليه بنفس بنفس النبرة والحدة: "مَيْدَاشْ تِنِيخْ أَلْقَايْدْ؟ مَيْسْثْنَنَّايْخْ؟. مَاهْ إسْدَيِي تْشَوَارْنْ؟" (بماذا أخبرك ايها القائد؟ لم أكن لأعلم بهم ؟ هل تظن أنهم يستشيرونني في ذلك؟).

وإذا ما تم الإمعان، في تلك الأحداث سواء في الريف، والتي تم التعامل معها بصرامة أكثر من قبل الدولة، وما شهدته منطقتنا بالرس، فسنجد أنها صورة تكاد تكون طبق الأصل لأحداث

2 أكتوبر 1955، التي كانت الشرارة الأولى لانطلاق عمليات جيش التحرير ضد المستعمر الفرنسي. فالمنطلق في كلتا الحالتين، هو مرتفعات الريف، قبل التمادي إلى منطقة الأطلس المتوسط الشرقي، وبالضبط إلى المرتفعات القريبة من "بوييلان".

وإذا كان السبب الذي أفاض الكأس بحسب ما كتب عن تلك الحقبة، هو مقتل عباس لمساعدي، فإن هذا الرأي لا يمكن تبنيه على المطلق بالنسبة لمنطقتنا بالمرس. وبناء على أراء بعض من عايشوا تلك الفترة من أبناء المنطقة، فقد تواترت روايات عن وجود محرضين من خارج المنطقة لدفع الناس إلى تسلق الجبال دفاعا عن الملكية التي يتهددها خطر ما. والراجح أن يكون المقصود بذلك الخطر" محاولة فرض حزب وحيد"، الذي كانت حرارته من أسباب الصراعات التي طفت على سطح حكومتي مبارك البكاي، ثم حكومة عبد الله إبراهيم من بعده. فقد كان ينظر للهيمنة التي يحاول الجزب المذكور فرضها على الساحة السياسة بالاستحواذ على القطاعات المفصلية للبلاد، بدعم من عدد من قادة الحركة الوطنية، بعين الشك والريبة من قبل عدد من الشخصيات التي لا تتقاسم نفس المرجعية مع الطرف الآخر، والتي تشبعت بأفكار ما تلقته، سواء داخل المدارس الحكومية التي تشرف عليها السلطات الاستعمارية وعلى رأسها ما كان يسمى بـ Collège Bèrbère d'Azrou (إعدادية أزرو البربرية)، تماشيا مع السياسية التي تم تسطيرها في ظهير 1930، المشهور باسم الظهير البربري، أو ضمن صفوف قواتها الاستعمارية. وكما هو متداول في بعض الكتب الدارسة لتلك الحقبة، فقد حاولت الإعدادية المذكورة تفريخ فئة متشبعة بأفكار فرنسية، بصفة خاصة، وغربية بصفة عامة، وذلك على ما يبدو، لمواجهة الأفكارالمتجدرة في المجتمع المغربي، وخاصة في طبقته المثقفة التي انهالت من التعليم العتيق، وخاصة من جامعة القرويين، والتعليم العصري على مستوى المدارس الحرة المغربية، مثل مدارس محمد الخامس بالرباط، وثانوية النهضة بسلا.

ولكسب تعاطف الناس مع الفكرة، وحثهم على الخروج والتعبير عن عدم رضاهم على ما يقع، فقد صيغت رواية ترويجية لفكرة الملكية في خطر، وتستغيث، وجدت صداها لدى بعض المسيسين من أبناء المنطقة الذين على ما يظهر غيروا جلباب انتمائهم الحزبي، بجلباب حزب لا زال آنذاك لم ينل بعض الشرعية القانونية. هذه الشرعية، التي لم تكن ممكنة لولا صدور قانون الحريات العامة في 15 نونبر 1958.

وبهذا الخصوص، فيحكي عم الوالدة رحمهما الله، الذي توفي سنة 1992، عن سن ناهز إحدى عشرعقدا من الزمن، أنه على إثر كثرة الحديث عن الجزب الجديد والقول أن من ورائه المرحوم محمد الخامس، ذهب خفية في إحدى الليالي، هو ومن معه من أفراد العائلة، إلى سكورة، لاستضاح أمر الادعاء بوجود دعم محمد الخامس للحزب المبشر به من قائد البلاد، المسمى قيد حياته "لحسن الزروالي، الذي خلف على ما أظن المرحوم القائد سعيد أمحند السغروشني. وبالفعل استقبلهم، وأخبروه بما جاءوا من أجله. فشرح لهم الأمر، ونفى لهم أي علاقة لملك البلاد بما يشاع بخصوص الحزب المتحدث عنه. فما كان من العم المذكور، والذي أمضى جزءا من حياته كجندي، إلا أن قال: "أَزْكَّ دِمْشِنَّ، ثْحَرَّكْ نْغَدْ رَبِّي أْرْتِتْحَرَّكْ (بما أن الأمر مثل ما ذكرت، فلا يهم أن تتحرك أو لا تتحرك). وقفلوا راجعين إلى ديارهم بأيت مخشون، بعدما قطعوا مسافة حوالي خمسة وسبعين كيلومترا ذهابا وإيابا.

وبحسب أحد أولئك المروجين لفكرة الدفاع عن الملكية رحمه الله، فإن الراحل محمد الخامس قد استقبل الوفد الذي كان من جملة أفراده، وهم كلهم أبناء المنطقة، وقبل ايديهم وطالب منهم الوقوف بجانبه والفاع عنه وعن عرشه. وقد انطلت هذه الحيلة على الكثير. كيف لا وشعبية محمد الخامس لا تناقش، والرجل يحلف بأغلظ الأيمان أن الملك قد قبل يده، إلا أن الحيلة على أحد الحكماء المخشونيين. فقد شكك في الأمر، ولم يساير المتحمسين للخروج" للثورة من أجل الملك". والذي ما أن أخبر بالأمر، وبما قاله القائل حول "تقبيل الأيادي"، حتى سارع بالقول ما معناه أو قريبا منه: " يــا حمقى، من لهذا ولأمثاله بتقبيل الملك لأياديهم، إنهم يكذبون ويلعبون بعقولكم". ولما قيل له: " إنه يحلف بالله، فهل تظن أنه يكذب"، أجاب:"لا، كل ما في الأمر أن لدى الرجل صورة الملك في منزله، فوضع يده على مكان فم الملك فيها، كما لو كان ذلك حقيقة، وبذلك ادعى التقبيل المروج له".

وستتضح الرؤية أكثر، إذا ما عرفنا أن الفترة الممتدة من بداية الاستقلال إلى وقت وقوع الجريمة، لا تتعدى خمس سنوات. ومع قصرها، فقد شهدت أحداثا جساما كما رأينا في السطور السابقة. وإضافة إلى ذلك، فقد تعززت فيها الساحة السياسية بحزبين جديدين: هما حزبا الحركة الشعبية والحزب الوطني للقوات الشعبية. وبخصوص الحزب الأول، فقد كان أعضاؤه ينشطون خارج القانون. ولم يستطع كسب الشرعية القانونية إلا في مستهل سنة 1959، أي بعد صدور ظهير 15 نونبر1958، الخاص بالحريات العامة.

أما فيما يتعلق، بالحزب الآخر، فقد خرج إلى الوجود على إثر انشقاقه عن حزب الاستقلال في نفس السنة.

كما عرفت تلك السنة، أي 1959، الاستعدادات الضرورية لإجراء أول عملية انتخابية عامة في تاريخ المغرب. وقد تمثل ذلك في التسجيل في اللوائح الانتخابية والعمليات الأخرى الضرورية للعملية، كالتقطيع الانتخابي وغير ذلك.

وبالفعل، جرت تلك الانتخابات بتاريخ 29 مايو 1960، وأسفرت نتائجها على حصول حزب الاستقلال على 40% من المقاعد، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية على 23 %، والحركة الشعبية على 7 %.

وعلاوة على ما سبق، يجدر التذكير بفقدان خلال تلك الفترة لشخصيات مرموقة، رحمها الله، وفي مقدمتها وعلى رأسها الملك الراحل محمد الخامس (بتاريخ 26 فبراير 1961)، ثم من بعده مبارك البكاي (12 أبريل 1961)، أول الوزراء الأولين في الحكومات المغربية المتعاقبة منذ الحصول على الاستقلال.

وهكذا، ومن خلال ما تم استعراضه في الفقرات السابقة، فمن غير المستبعد أن يكون للتدافع السياسي، نصيب من المسؤولية في المأساة التي شهدتها المنطقة بفقدان طاقتين من طاقاتها الشبابية، المتمثلتين في القاتل والمقتول. وقد تعمدنا التذكير بها ضمن ذكرياتنا المدرسية، عسى أن تكون فيها عبرة لمن تستهويه السياسة لدرجة ينسى أو يتناسى معها الروابط الدموية والأواصر الأخوية والعلاقات الإنسانية الأخرى المنسوجة بسبب من الأسباب كالجوار والصداقات وغير ذلك، ناسين أو متناسين أن السياسة، رغم كل شيء أخلاق وقيم نبيلة. ومتى

حادت عن ذلك، تصبح وبالا على المجتمع. فحال اليوم، ليس بأفضل من حال الأمس بخصوص التجاذبات المذكورة.

2-3-2- حادثة سير مروعة:

وفي نفس الإطار، أي ما سجلته ذاكرتي من أحداث على صعيد المنطقة خلال تلك الحقبة، أستحضر بعجالة واقعة أخرى لا تقل أثرا على القبيلة والمنطقة عن التي سبقتها، والتي، على ما أظن، أول حادثة سير تهم المنطقة، وبالتالي ارتجت لها أركانها برمتها وليس فقط القبيلة، أو أهل الشاب والشابة الضحيتين المنتميين جميعا لمدشر واحد من مداشر المنطقة. معرفة المكان لا يهم بالقدرالذي تهم الواقعة في حد ذاتها، باعتبار الحزن الذي خلفته في نفوس سكان المنطقة كلها للسمعة الطيبة للمفقودين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه.

ويتعلق الأمر بحادثة سير وقعت حوالي سنة 1963، بسبب انقلاب الحافلة الأسبوعية الوحيدة التي كانت تربط آنذاك بين صفرو والمرس ذهابا وإيابا. الناقلة التي كانت تنطلق من مدينة صفرو في الدقائق الأولى من كل يوم الإثنين، أي بعيد منتصف ليلة الأحد /الإثنين لتصل إلى المرس حوالي الفجر، قبل أن تعود أدراجها وتدخل إلى صفرو حوالي الساعة التاسعة صباحا. وقد كانت في ملكية المرحوم السيد المومن الحاج الحسين المشهور سابقا ب"الشاوش الحسين". وقد كان ذلك، بطبيعة الحال، قبل ظهور سيارات الأجرة، أي "الطاكسيات" على حد تعبير العامة، وقبل، على الخصوص، استفحال ظاهرة الناقلين الغير القانونيين، أي ما يعبر عنه ب"الخطافة"، مما اضطر صاحبها إلى توقيف رحلاتها في اتجاه المرس. وبالمناسبة، نترحم على مراقبها وجابيها الطيب "عمي دريس"، وعلى " السائق الأسمر الطيب المقتدر الذي، مع الأسف لا أتذكر اسمه، كان لا يدخر أي جهد للوصول أو الاقتراب من المرس كيفما كانت العراقيل التقنية، والصعوبات الجوية. فرحم الله الحاج الحسين، وعمي دريس والسائق رحمة واسعة وأسكنهما فسيح الجنان، وجازاهم الله عنا أحسن الجزاء.

وعلى الرغم من طول المدة بين تاريخ كتابة هذه السطور، ووقت الحادثة، وغياب المعلومات، سواء المكتوبة أو الشفهية، المفصلة عن تلك الحادثة، فإنه وبحسب المتناقل شفهيا آنذاك، فإن سبب الحادثة يعود إلى قلة تجربة السائق الذي كان لا يزال شابا حديث العهد بالسياقة. فلم يستطع غلبة النعاس الذي غشيه فخرجت الحافلة عن الطريق في منعرجات "مزدو"، المكان المعروف الذي يأتي قبل مدينة صفرو، من جهة مدينة بولمان، على بعد حوالي 10 كيلومترات.

2-3- 3- الزيارة الملكية:

ويتعلق الأمر بالانتقال إلى بلدة "سرغينة"، حيث تجري الاستعدادات، آنذاك، على قدم وساق لتحية الراحل الملك الحسن الثاني أثناء مروره من هناك إلى بلدة إيموزار مرموشة في إطار زيارته للمنطقة. ومع الأسف، لم أتذكر تاريخ تلك الزيارة الرسمية، الأولى والأخيرة من نوعها للمنطقة لحد الآن، بالضبط. كما لم أظفر بذلك من خلال البحث عنها في الأنترنيت. ولكن إذا ما علمنا، أن تاريخ ارتقاء الملك الحسن الثاني العرش، بعد موت أبيه، هو 3 مارس 1961، وعرفنا أن الزيارات الرسمية تحتاج إلى وقت غير قصير للتحضير، وأن إيموزار مرموشة من المناطق التي تخلد فيها رسميا ذكرى 2 أكتوبر 1955، التي تعد الانطلاقة الفعلية لعمليات جيش التحرير ضد المستعمر الفرنسي، فمن غير المستبعد أن تتم تلك الزيارة في هذا الإطار

وأن يكون ذلك مصادفا للذكرى المذكورة إما في نفس السنة التي تولى فيها العرش أو في السنة الموالية.

وقد كان علينا قطع المسافة الفاصلة بين المرس وسرغينة، أي من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، والبالغة حوالي خمسة عشر كيلومترا مشيا على الأقدام وبدون زاد. ولم نصل إلا بعد وقت طويل حوالي ساعتين ونصف، أي مع بداية اليل أو بعده بقليل. فلما وصلنا إلى مكان الاحتفال، الذي اختيرت له الساحة المتواجدة في ملتقى طريق المرس وإيموزار مرموشة، أمام مدرسة سرغينة، وجدنا المكان غاصا بالخيام على جنبات الطريق، ولم نهتدي للخيمة التي يتواجد فيها من نعرف من أيت مخشون، بصفة خاصة، ومن المرس بصفة عامة، بسهولة. وقد تفاجأ من استقبلنا بوجودنا الغير المتوقع، فكان اللقاء باردا تتخلله ملاحظات ومؤاخذات، كنا نتحرج من سماعها، ولكن نتجرعها مذعنين، ما دام البديل غير متوفر.

ومع ذلك، فقد آثرنا الكل على أنفسهم ووفروا لنا المتيسر من المطعم والمشرب والمأوى والدفء الضروري للخلود للنوم من أجل الراحة، استعدادا لليوم الموالي الذي ينتظره الجميع، والذي سيكون حافلا والذي يتوقع الجميع أن يكون حافلا.

وبالفعل كان اليوم الوالي مليئا بالأحداث التي لا تنسى. فإلى جانب الحدث الأبرز الذي ينتظره الجميع للتملي برؤية الملك، فقد شاءت الأقدار أن يقع حادث جانبي مؤسف كاد أن يودي بحياة الشخص الذي كلف بتجهيز الفرس المختار لتقديمه هدية لعاهل البلاد باسم قبيلة قبيلة أيت سغروشن. ويتعلق الأمر بالمخشوني المسمى قيد حياته بمولاي "علي" ، رحمه الله، الذي تلقى ضربة قوية من الفرس المذكور، نقل على إثرها، على وجه الاستعجال، إلى المستشفى بفاس وهو في حالة حرجة ليبقى هناك رهن العلاج لمدة طويلة.

وكما كان منتظرا، فقد جاء الملك وتوقف لمدة قصيرة بالمكان الخاص بالاحتفال وتقدم للسلام عليه من تهيأ لذلك. ولو أني لم أر شيئا مما وقع بهذا الخصوص، نظرا لبعد مكان الاستقبال عن مكان تواجدي مع من معي، فلن يخرج الأمر عن المألوف في مثل هذه الحالات، كرجال السلطة المحلية، ووجهاء وأعيان القبيلة، وبطبيعة الحال، في مقدمتهم وعلى رأسهم، قيم الزاوية، وقدمت له الهدية قبل مواصلة طريقه نحو إيموزار مرموشة، حيث قام، على ما يبدو، بوضع حجر الأساس للمسجد المشيد هناك لاحقا.

2-3-4- كذبة "قائد" (رجل السلطة):

كنت في الدرس في يوم من أيام ربيع 1963، لما جاء أحد الجنود (مخزني) يبحث عني لمرافقته إلى المقسم الهاتفي الوحيد الموجود في مقر ما يعرف بـ "القشلة" (ثكنة) للرد على مكالمة هاتفية من قائد بلدة "أهرممو"، بعدما طالب بأحد من أقارب عائلة "..."، أو أي أحد من أيت مخشون ليخبره بما يهم العائلة المذكورة. ورغم أن الكثير من التفاصيل قد خانتني بعد هذه المدة الطويلة، فقد تفاجأت بالأمر، وانشغلت بماذا سَأُخْبر، سيما وأن العائلة المذكورة تربطني بها أكثر من رابطة. رابطة الدم والمصاهرة ... ولا أخفي أنني صدمت لدرجة لم أعرف معها ما أقدم ولا ما أأخر. وكان همي الأكبر على الخصوص، كيف أجيب على مكالمة هاتفية وأنا لم يسبق لي أن رأيت جهاز الهاتف أصلا ؟ ومن أكلم؟ القائد!!! ولكن ما الحيلة؟ فقد رافقت من جاء يطلبني، وذهبنا معا إلى المخدع. وقد سلمني من كان هناك السماعة لأرد على

المنادي، ولكن نظرا لانعدام التجربة، ولحالة الجهاز، فلا أكاد أفهم أي شيء مما أسمع، مما اضطر معه المكلف بالمقسم بتولي المهمة بدلا مني. وقد لاحظت أنه حاول عدة مرات قبل أن يفلح في ربط الاتصال. وكان عليه في كل مرة أن يقوم بتدوير ذراع لاصق بصندوق الهاتف بطريقة قوية. وقد عرفت لاحقا أن ذلك كان من أجل توليد التيار الكهربائي المستمر الضروري لربط الاتصال بينه وبين المخاطِب. وبعدما تم الاتصال، أخبرني "بالفاجعة"، بموت عزيز من أعز الناس لدي. إنه إبن الخال والعمة وزوج إحدى أخواتي توفيت فيما بعد سنة 2001، رحمها الله. توفي، بحسب المصدر المذكور، في بلدة "أهرممو"(رباط الخير حاليا) ، بعدما قدم إليها في مهمة عسكرية باعتباره ملازما في القوات المساعدة. وهو يطلب من أبيه القدوم إلى عين المكان للتأكد مما جرى.

خرجت من هناك لا ألوي على شيء قاصدا أيت مخشون، لم أعد أتذكر هل كنت وحيدا أو بمعية باقي زملائي أو شخصا آخر، ولن يكون، في هذه الحالة الأخيرة، إلا عونا من أعاون السلطة الذي يدعى آنذاك ب"جَّارِي"(حاليا لمقدم) ، لأنعي المفقود. وبالفعل، فقد نزل الخبر على عائلة الملازم المذكور، وعائلتي وعلى كل العوائل المخشونية كالصاعقة. ومن شدة الصدمة، لم تتمالك أمه نفسها، وهي التي فقدت أخاه الشقيق في مستهل سنة 1937 بمدينة تزنيت في ظروف مماثلة، ولم تشعر إلا ويديها ممتدة لخديها تلطمهما وتغرس أظفارها فيهما.

وبعدما كلف بعض الأشخاص بالقيام بالاستعدادات الضرورية للدفن وإقامة واجب العزاء، رحل والد المُنْعَى إلى "أهرممو"، كما هو مطلوب، للوقوف على ما جرى بالتفصيل. فيما سافرت والدتة إلى الرباط، حيث يوجد مقر سكناه ويشتغل، للوقوف على ما حدث. وما أن وصلت إلى منزل ابنه هناك، حتى تفاجأت بهدوء المكان وسكونه ولا تظهر عليه أية علامة من العلامات الدالة على وقوع مكروه. وما أكبر فرحتها لما فتح الباب واستقبلتها زوجة ابنه، التي هي ابنة أخيها في نفس الوقت، بابتسامة عريضة، وتجد ابنها في صحة جيدة بين أفراد أسرته وأقاربه ولا علم له بتاتا بما جرى.

أما أب الضحية المفترى عليها، فما أن وصل إلى "أهرممو" حتى انكشف كل شيء وظهر زيف الادعاء. واتضح له أنه وضع أمام الأمر الواقع المر. وأن ما قيل محض افتراء ومجرد كذبة كادت أن تكون كارثة. اخترعها القائد المتصل، لا لشيء إلا لأنه يريد ان يستقدمه على عجل لمعالجته هو أو أحد أقاربه من مرض معين ألم به أو بغيره من الأقارب بعدما أخبر من طرف المرحوم المدعو "مولاي أحمد لشراف أو لجراف" (من الشرفاء الموجودين بالقرب من أهرممو، الذين ترجع أصولهم إلى سيدي أحمد، حفيد سيدي علي بن يحيي) أنه الوحيد الذي يستطيع ذلك. طبعا نحن نتحدث عن زمن لا زال "التطبيب " التقليدي هو المسيطر في غياب أي بديل آخر.

وعلى ما حكى لي "المُنْعَى" مؤخرا، بارك الله في عمره، فربما يكن المسؤول الذي كذب تلك الكذبة المفضوحة قد عوقب إداريا بعد الشكوى التي قدمت ضده رؤسائه. أما قضائيا، فلم تتابعه العائلة ولم تقدم ضده أيه شكاية. فبدون شك، فقد يكون الشريف السالف الذكر قد توسط في الأمر.

ولتقريب فكرة الهاتف المذكور في الفقرات السابقة إلى اذهان وخاصة إلى أذهان الذين فتحوا أعينهم على الهواتف المحمولة، نورد هذ النبذة عن ذلك النوع من وسائل التواصل الذي كان في طفرة كبيرة في عهده، شأنه في ذلك شأن كل اختراع بشري، والذي يعد الجد التاريخي، أو أحد الجدود التاريخيين للهواتف التي نستعملها اليوم.

فقد كانت الآلة المذكورة، عبارة عن جهاز من الأجهزة التي يرجع تاريخها إلى بداية اكتشاف الهاتف المستخدم لخط سلكي نحاسي فريد سمائي، أي محمولا على أعمدة متباعدة فيما بينها بحوالي خمسين مترا على طول المسافة المراد ربطها. وقد كان يعمل بالتيار الكهربائي المستمر، بحيث يكون أحد أقطابه متصلا بالسلك النحاسي المحمول، والقطب الآخر متصل بالأرض، كما هو الشأن فيما يعرف ب"المأخذ الأرضي" (prise de terre) بالنسبة للتوزيع لشبكي الكهربائي.

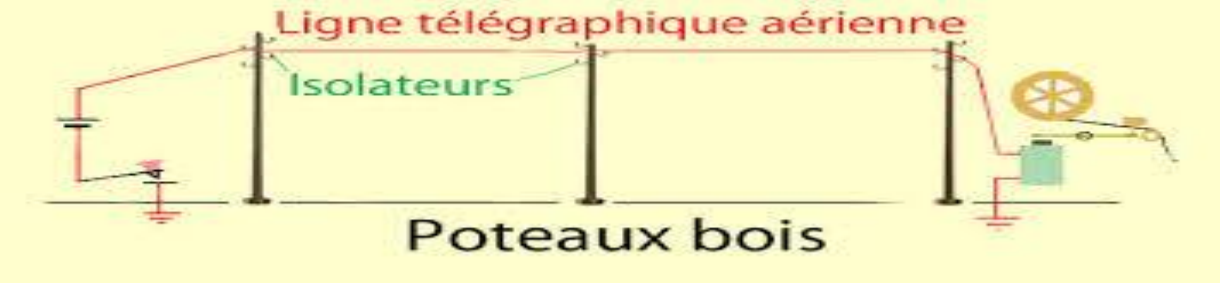

وقد تكون تلك الخطوط فردية، موجهة لمستخدم أو مشترك واحد، أو جماعية، موجهة لعدد من المستخدمين أو المشتركين. وفي هذه الحالة الأخيرة، يحتاج تقاسم الخط الأساسي (الرئيسي) الموصل إليها، إلى ما يعرف بالمقسم أو البدال (standard).

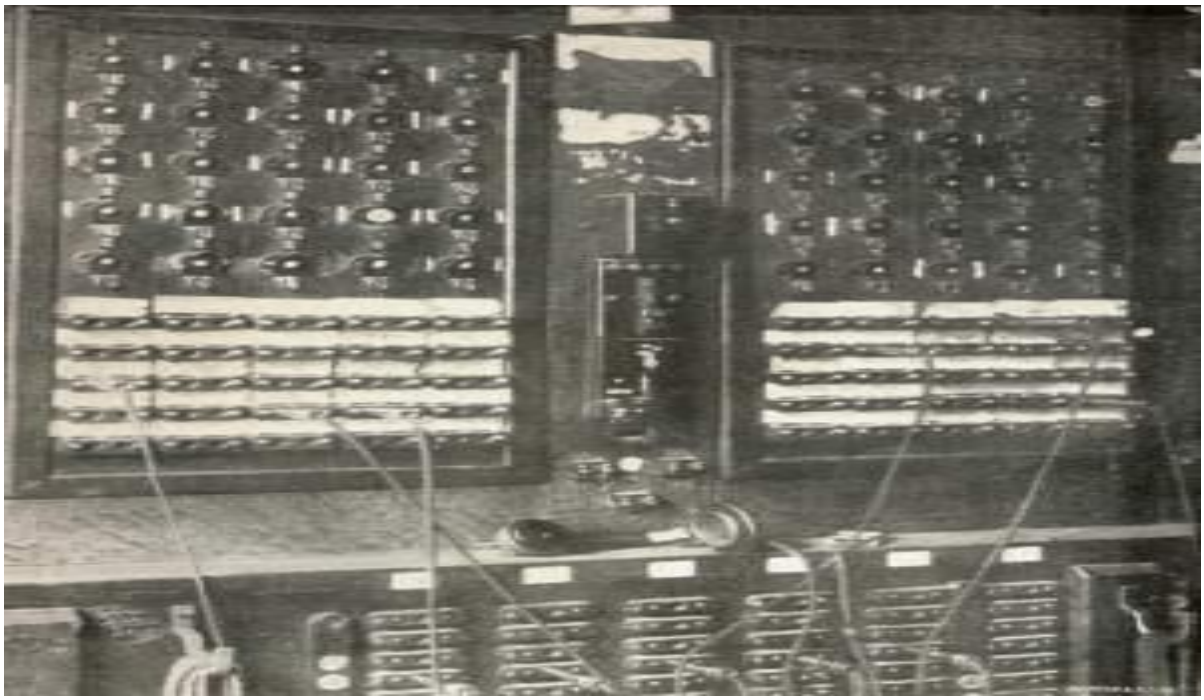

http://jean.godi.free.fr/histoire/premierscentraux.htm

والبدال عبارة عن "صندوق" به عدد من المقابيس الثابتة (نخاريب/ثقوب) بعدد المشتركين الذين يمكن الاتصال بهم، أو أحيانا أكثر تحسبا لاشتراكات جديدة حسب أهمية الساكنة في المنطقة المغطاة.

وإلى جانب تلك المقابيس، يوجد هناك موصل أو أكثر، حسب سعة استقبال البدال من الخطوط الواردة. ويتم الربط وتمرير المكالمة بين المنادي والمستقبل بواسطة ذلك الموصل، وذلك عن طريق إدخال طرفه المعدني العاري في الثقب الذي يعد بمثابة بداية خط المستقبل المطلوب.

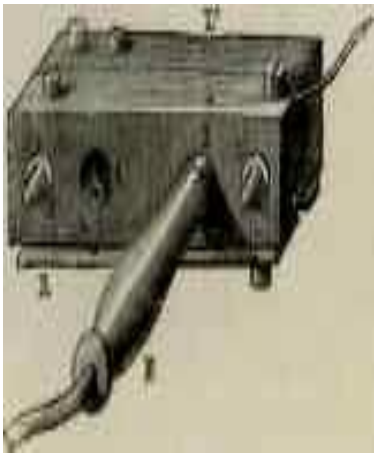

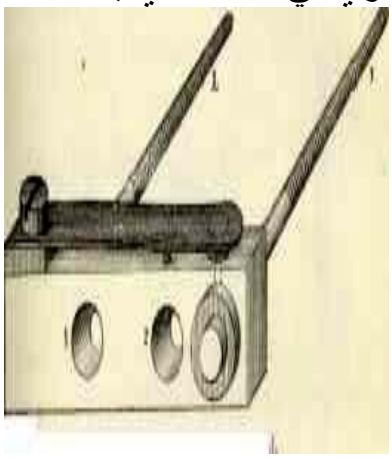

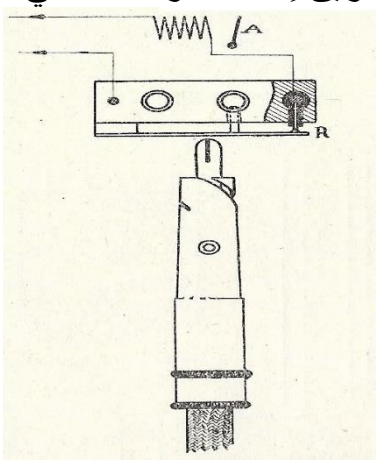

http://jean.godi.free.fr/histoire/premierscentraux.htm

https://fr.dreamstime.com/photos-stock-vieux-central-t%C3%A9l%C3%A9phonique-image1994893

وقبل عملية ربط المخاطِب بالمخاطَب، تتم عمليات متتالية بين المكلفين بالربط من جهة الاتصال ومن جهة الاستقبال للتحضير للعملية أي المشرفين على المقاسم الهاتفية (standaristes)

http://jean.godi.free.fr/histoire/premierscentraux.htm

http://jean.godi.free.fr/histoire/premierscentraux.htm

وحينما يكون المستقبل جاهزا لرد على مخاطبه، يتم الربط بينهما سواء كان ذلك في منزليهما، أو في المخادع العمومية الموضوعة رهن إشارة العموم في المؤسسات المعروفة سابقا بالمكاتب البريدية التي كانت تقدم هذه الخدمة ضمن الخدمات البريدية والمالية التي توفرها للجمهور، وذلك بطبيعة الحال قبل 1992، تاريخ بداية الفصل التدريجي بين قطاعي البريد والاتصالات ببلادنا. وربما لا زالت هذه الخدمة في الدول التي لم يتم فيها الفصل المذكور، أو التي تم فيها ذلك، وفضلت الإبقاء عليه خاصة على تراب وطنها مثل اتصالات فرنسا

وكما هو معلوم، فاحتساب ثمن المكالمة يتم من الوهلة الأولى التي يتم فيها الربط بين الطالب والمطلوب. وكما هو معروف وجرت به العادة، تتم الفوترة على الطالب الذي عليه أن يؤدي ثمن المهاتفة، عاجلا في مكاتب البريد، أو آجلا، في التاريخ المحدد في الفاتورة التي يتم التوصل بها شهريا.

والجدير بالذكر، أن المقسم الذي كان يتحكم في الخطين المتفرعين عن الخط الرئيسي الرابط بين بولمان وسرغينة، كان يوجد في هذا المكان الأخير. ومن أشهر العبارات المحفوظة عن القائم عليه: "أُلِّيدْ إِتُّوتُّويْ" (أي لا يصل الاتصال عندي). فاللهم اغفر لنا وله وارحمنا وارحمه برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

وما لا يعرفه كل الناس عن الاتصالات عبر الخطوط الهاتفية القارية، أن الطالب كان لا يستطيع أحيانا أداء ثمن المكالمة لسبب من الأسباب الاستعجالية أو الإنسانية، فكان يمكنه إداك اللجوء إلى ما كان معروفا بخدمة "المكالمة بعد موافقة المستقبل" (Paiement Contre Vérification /un appel en

PCV). وبمقتضى تلك الخدمة، التي كان معترفا بها، فإن ثمن المكالمة، إذا وافق المطلوب، كانت تحتسب على هذا الأخير لا على الطالب. وهذه الخدمة لم تعد متوفرة بعدما تمت خوصصة الاتصالات والطفرة التي حققتها الهواتف المحمولة.

ومهمة البدال، سواء اليدوي أو الآلي، التي تقتضي توزيع وتجميع المكالمات، تتطلب تخصيص رقم معين واحد لكل مشترك، بل على الأصح، لكل اشتراك، لأنه لا يوجد هناك مانع من حصول شخص واحد أو مؤسسة واحدة على أكثر من خط هاتفي، كما هو الشأن الآن بخصوص إمكانية التوفر على أكثر من رقم هاتفي بالنسبة للهواتف القابلة لاستخدام بطاقتين، أو إذا كان يتوفر على أكثر من هاتف محمول واحد. وعلى أساس تلك الأرقام تتم فوترة أثمنة الخدمات المقدمة من المتعهد الموفر للخدمة الهاتفية.

وقد استمرت هذه التسمية، أي (standariste) سارية طيلة المدة التي بقي فيها الربط (commutation) يدويا، أي يحـتاج إلـــى عامل بــشري لتشغيله. ولما أصبحت العملية تتم بصفة آلية بظهور تكنولوجية "الشبكة الهاتفية القابلة للتبديل الآلي" المعروفة اختصارا بالفرنسية بـــــ
RTC (réseau téléphonique commuté)، تغيرت التسمية إلى ما يعرف بـ " البدال الآلي (commutateur téléphonique)، الذي يمتاز إلى جانب طبيعته الآلية، بقدرته الكبيرة على الربط بين أعداد هائلة من الخطوط.

ومسايرة للتطور العلمي والتكنولوجي وانسجاما مع سنة التطور وصيرورة الحياة، بدأت هذه التكنولوجية تتراجع إلى الوراء في أفق الاختفاء نهائيا نتيجة انتشار تكنولوجيات الهواتف الخلوية، المشهورة بالهواتف "المحمولة" أو "المتحركة" أو "النقالة" والتي أصبح يستعاض أحيانا عن هذه التسميات باسم الهواتف الذكية"، وإن كانت هذه العبارة الأخيرة "خاصية وقيمة مضافة وليست تكنولوجية بديلة للسالفة الذكر. وبخصوص هذه التسميات، وكما هو الشأن في كل التعاريف، فهي تقريبية وليست شاملة مانعة جامعة. وربما كان من الأفضل أن تسمى " الهواتف المحمولة / المُنْقَلَةِ جَيْبِيّاَ"، نظرا لصغر أحجامها، وسهولة تداولها، استئناسا بسلسلة الكتب المشهورة بـ "كتب الجيب" (livres de poches).

الخاتمة

هذه الوثيقة، بمثابة غيض من فيض مما اختزنته ذاكرتي وعلق بها من أحاسيس وأحداث ووقائع ومواقف ومظاهر وإجراءات... مما عشته، أوتعايشت معه، أو عايشته، أو فقط سمعته أو سمعت عنه، خلال الفترة المذكورة، أي إبان الدراسة الابتدائية بقرية المرس قبل الانتقال إلى مدينة سلا، وبالضبط، إلى مدرسة البنين بحي تابريكت. هذه الأخيرة، التي استكملت فيها ما تبقى في مشواري الدراسي الابتدائي بالحصول على الشهادة الابتدائية، ومن تم إلى التعليم الإعدادي، للمرور منه إلى المستوى الثانوي مفتاح المستوى الجامعي، الذي اكتفيت منه، بالحصول على الإجازة في القانون الخاص. وبهذه الشهادة الأخيرة، يكون مساري الدراسي، الذي دام حوالي عشرين سنة، قد بلغ مداه، لينطلق فيما بعد مساري الإداري، الذي استمر بدوره، حوالي ثلاثة وثلاثين سنة.

وقد حاولت من خلال مقاطع هذا المحرر، التي توزعت بين توطئة، ومقدمة، وجزئين ثم خاتمة، عب دور "الدليل السياحي"، لمرافقة القارئ الكريم في جولة معنوية وفكرية عبر دروب ماضي "مدرسة المرس"، منذ النشأة وإلى غاية نهاية الموسم الدراسي 1963-1964، أي في آواخر يونيو 1964.

وهذه الجولة، وكأي رحلة للوقوف على مآثر ومنشئات محسوسة وملموسة، فالاطلاع فيها لا يقتصر فقط على المقصود المطلوب، وإنما أحيانا، تكون هناك منشئات ومناظر، ومحطات... أخرى تتم مصادفتها أثناء المسار، فيضطر المرافق للوقوف عندها، وإن لم يلاحظها الزائر، للاستراحة، وفي نفس الوقت، لتزويد مرافقه أو مرافقيه بمعلومات إضافية.

وهذا ما وقع بالضبط، مع هذه النزهة الفكرية التي حاولنا من خلالها، وباستعانة بزملاء قدامى وأصدقاء ومعارف، التأريخ (الجزء الأول من الوثيقة على الخصوص)، للمؤسسة العمومية المعروفة ب"مدرسة المرس"، من حيث محاولة تحديد نشأتها، والتعرف على أسماء الأفواج الأولى من المتمدرسين الذين تعاقبوا على طاولاتها وفصولها، وعقبهم إلى غاية نهاية الفترة المحددة. ولكن ذلك، لم يمنعنا من إلقاء نظرات على الظروف المحيطة بالتمدرس فيها آنذاك، من خلال النموذج الخاص بي، وعلى الطرق المتبعة في التدريس، وعلى العلاقات والروابط السائدة بين المعلمين والمتمدرسين، وفيما بين هؤلاء الأخيرين، من خلال بعض أنشطتهم المنعزلة عن الدرس والتحصيل. كما تم الوقوف على بعض تصرفات وممارسات التلاميذ أثناء تنقلهم إلى المدرسة ذهابا وإيابا.

أما الجزء الثاني، فقد أدرجت فيه أهم الأحداث التي استأثرت باهتمامي ككتاب لهذا المستند، وفي نفس الوقت كشاهد على تلك الأحداث. ويتعلق الأمر على الخصوص، بحوادث تجاوز مداها وآثارها، المحيط الذي وقعت فيه، إلى الجوار في الدوار، أو إلى القبيلة كلها، وأحيانا إلى

المنطقة، أو الوطن كله. ويتعلق الأمر بالجريمة النكراء التي ذهب ضحيتها المقتول، والقاتل المسجون، رحمهما الله، وبحادثة السير التي اهتزت لها أركان القبيلة كلها، وبالكذبة التي كادت أن تكون كارثية، وأخيرا بالزيارة الملكية الأولى والأخيرة للمنطقة.

وقد يقال، كما يجري أحيانا على ألسنة العامة، "هذه قصة حياتك مع المدرسة المذكورة، وأنت حر فيها، متحاولش تصدع لنا ريوسنا بها " (باختصار قصة حياتك هذه لا تهمنا). وهذا كلام حق قد يراد به باطل. فالتاريخ عبارة في جزء منه على قصص حيوات أفراد، لا يمكن الاستغناء عنها لفهم حقبة أو جزء من الحقب التي عاشوا فيها، لسبب وحيد، وهو أنهم شهود وحيدين أو مع غيرهم ممن لا يمكن الاستغناء عنهم في فهم ما جرى أو يجرى.

إضافة إلى ذلك، فهذا العمل بمثابة بذرة توثيقية للمدرسة المذكورة من المؤمل أن تستكمل، سواء مني أو من غيري، لكتابة تاريخ حقيقي لتلك المدرسة التي تستحق منا "البرور"، من خلال التعريف بها وبمن دخلها وخرج منها، سواء كان مُعَلِّما، أو مُتَعَلِّما، أو مراقبا وموجها ومؤطرا. كيف لا، وقد استطاعت رغم الظروف الغير المواتية، أن تفرخ، صحيح بأعداد قليلة مقارنة مع غيرها، أفواجا من الفعاليات والأطر في شتى المجالات، ساهمت قدر المستطاع في تنمية مغربنا الحبيب.

والرسالة الرئيسية التي أريد توجيهها من خلال هذا المحرر، هي أن هذه، هي تجربتي مع الدراسة في مراحلها الأولى، وهي، كما هو معلوم، أصعب المراحل الدراسية على الإطلاق، نظرا لعدم وضوح المغزى والفائدة بعد من هذا النشاط المفروض على المتمدرس فرضا. ومما زاد من صعوبتها بالنسبة لي، وبالنسبة لمن في وضعيتي، أن المثبطات، كانت لا تنقص، بل كانت قوية وحقيقية، وثبطت بالفعل عزائم عدد من الأقران سواء في عهدي أو قبلي أو بعدي. ومع ذلك، فقد صمدت وتحملت ولله الحمد. وقد كان ذلك بفضل الله أولا وآخرا وبتوفيق منه، ثم بمساعدة أفراد العائلة، وعلى رأسهم أمي للا زنو وأخي سيدي محمد، رحمهما الله رحمة واسعة. ولا أنسى، المحيط والبيئة الذين عشت فيها، والذين لم يوفرا لغيري أفضل مما وفراه لي. وبذلك، يصدق عليهما المثل القائل: "إذا عمت هانت".

ولسيت ظروف اليوم بأسهل من ظروف البارحة. فلكل زمان همومه ومشاكله. ولذلك لا تكاد تجد من لم يتبرم مما هو فيه. وينظر إلى الغير على أنه أفضل حال منه. وفي هذا الصدد، أذكر بمقولة سمعتها، وكثيرا ما أحدث بها، بخصوص التبرم من الهموم والمشاغل. فقد روي أن أناسا في عهد من العهود، وفي مكان من الأمكنة على وجه الأرض، كثرت شكاويهم من الهموم، فاتفقوا من تلقاء أنفسهم أو بنصح أو بإيعاز من أحدهم، على إقامة سوق لعرض همومهم للبيع. وكان على كل واحد منهم، بعد أن يعرض همه للبيع في مكان معين في السوق، أن يتنقل عبر أجنحة وممرات السوق بحثا عن هم أهون من همه ليقتنيه.

وبقي الأمر كذلك مدة من الزمن دون أن يستطيع كل واحد منهم أن يجد ضالته. وبعدما يئس كل واحد من إيجاد بديل لهمه، ذعن للأمر الواقع، ورضي بما قسمه الله له، وعمد إلى سحب همه من جناح العرض للبيع، واسترجعه راضيا به.

وختاما، ومن خلال ما تقدم، يظهر أن التفاوت المادي قد لا يقف حجر عثرة كبيرة أمام الأخذ بنصيب من النجاح، إذا تم الاتكال على الله أولا وآخرا، ثم الإتيـــان بالأسباب، بإرادة ، كما قال ألبير إنشتاين:

« Where there is a will there is a way»/ Là où il y a une volonté, il y a un chemin »

/ الإرادة تصنع الطريق"، وعزيمة كـــبيرة، وخاصة بصبر أكبر، مصداقا لقول ربنا عز من قائل: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" (البقرة/ 155 – 157).

بطاقة
تعريفية عن الكاتب

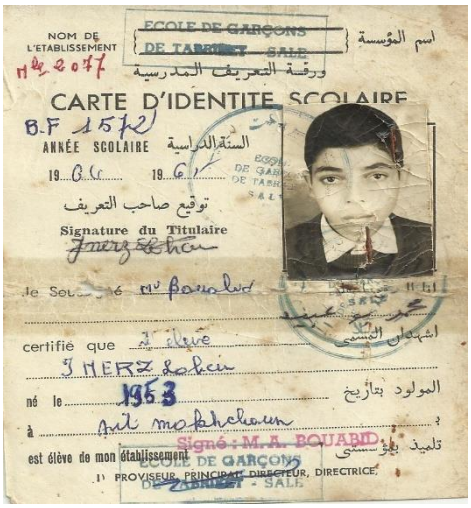

1-الحالة المدنية:

1-1-الاسم الشخصي: لحسن بن محمد

1-2-الإسم العائـــلي: انـــــــــــرز.

1-3-تاريخ ومكان الازدياد:

1-3-1-التاريخ:

لم يكن مضبوطا، نظرا لعدم توفر الحالة المدنية للوالد. والسنة المقدرة المقيدة في السجل الخاص بي الموثق بتاريخ 1970 هو 1953. وقد تمت إضافة اليوم والشهر فيما بعد للضرورة الإدارية بموجب حكم قضائي ليصبح بعد ذلك كالتالي: 12/31/ 1953، والراجح أن يكون ذلك في شتنبر 1949.

1-3-2-المكان:
دوار أيت مخشون، قبيلة أيت سغروشن، الجماعة القروية المرس، قيادة سكورة، إقليم بولمان، المملكة المغربية.

2-الحالة العائلية:
أب لثلاث إناث وذكرين. وجد لحفيدين وحفيدة.

3-المسار الدراسي:
1-3- تعلم مبادئ القراءة والكتابة في مسجد الدوار وحفظ حوالي 17 حزبا من القرآن الكريم قبل الالتحاق بالمدرسة العمومية.

2-3-قسم التحضيري إلى غاية المتوسط الأول (أكتوبر 1959- يونيو 1964) بمدرسة المرس التي تبعد عن المسكن بحوالي 14 كيلومترا ذهابا وإيابا عبر غابة بوخاموج؛

3-3- المتوسط الثاني في مدرسة البنين بحي تابريكت بمدينة سلا (الموسم الدراسي 1964-1965)، حيث الحصول على الشهادة الابتدائية.

4-3- التعليم الإعدادي بإعدادية النجد (ثانوية الفقيه التطواني حاليا) بحي بطانة بمدينة سلا .

5-3- التعليم الثانوي بثانوية الحسن الثاني بحي حسان بمدينة الرباط والحصول على الباكالوريا / شعبة الآداب العصرية سنة 1975.

6-3- التعليم الجامعي بكلية الحقوق التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط والحصول على الإجازة في القانون الخاص سنة 1980.

4-المسار المهني:

1-4- الخدمة المدنية:
قضاء فترة ما كان يعرف بالخدمة المدنية (1980/12/22-1982/12/22) بالمحكمة الابتدائية بالرباط.

2-4- التوظيف:
بوزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية بتاريخ 1-4-1983 كمفتش للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية؛

3-4- التداريب:
السلك العالي للمدرسة الوطنية للإدارة العمومية ENAP ;التي أصبحت فيما بعد تسمى المدرسة الوطنية للإدارة ENAبنجاح سنة 1989 وقضاء الفترة التدريبية المطلوبة لذلك وهي عامين، أي من فاتح يناير 1990 إلى متم دجنبر 1991.

4-4- الندوات والمدارسات:
1-4-4- Formulation des projets de développement

4-4-2 - Gestion des stocks
4-4-3-Marchés publics
4-4-4-الإصلاح البريدي،
4-4-5- تقييم الموارد البشرية وغير ذلك.
4-5-الإدماج بوزارة الصناعة والتجارة والتكنولوجيات الحديثة في غشت 2010.

4-6- الترقيات:

4-6-1- متصرف (سلم 11) بتاريخ 1992 على إثر الحصول على دبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية للإدارة العمومية؛

4-6-2- متصرف ممتاز (خارج السلم) بتاريخ فاتح يوليوز 1998.

4-7- المهام:

رئيس مصلحة التعاون من سنة 1996 إلى غاية الإحالة على التقاعد.

4-8- السفريات في إطار المأموريات:

4-8-1- فرنسا سنة 1990 لقضاء فترة تدريبية ب"معهد الإدارة العمومية بباريس Institut d'Administration Publique /IAP" لمدة 75 يوما. وكان الموضوع العام لذاك التدريب هو: "تدبير الأخطار الطبيعية والتكنولوجية". وقد تم ذلك على ثلاثة أشطر:

4-8-1-1- الشطر الأول نظري جماعي بباريس لمدة 15 يوما.

4-8-1- 2- والشطر الثاني تطبيقي فردي لمدة 45 في إحدى المدن وحول موضوع معين يختتم بتقديم تقرير. وقد كانت من نصيبي مدينة Caen في غرب فرنسا على ساحل بحر المانش. وكان الموضوع الموكول لي هو تدبير الساحل النرمندي La gestion du littoral de la Basse Normandie .

4-8-1-3- الشطر الثالث: جماعي تقيمي بباريس ولمدة 15 يوما.

4-8-2- العاصمة التونسية سنة 1998 لتمثيل قطاع البريد والمواصلات في أشغال الدورة 6 اللجنة العليا المشركة المغربية التونسية .

4-8-3- القاهرة (مصر)، 17 - 24 أبريل 1999 لتمثيل المغرب في أشغال اللجنة العربية الدائمة للبريد.

4-8 -4- بنغازي (ليبيا) سنة 1999 لتمثيل قطاع البريد والمواصلات في أشغال الدورة 4 اللجنة العليا المشركة المغربية الليبية.

4-8-5- العاصمة التونسية في سنة 2001 للمشاركة في أشغال الاجتماع الوزاري المغاربي للبريد والمواصلات.

4-8-6- القيام بمهمة إلى العاصمة الليبية سنة 2002 لتمثيل قطاع البريد والمواصلات في أشغال اللجنة المغاربية للبنيات الأساسية .

4-8-7- القيام بمهمة إلى العاصمة الموريتانية سنة 2003 لتمثيل قطاع البريد والمواصلات في أشغال اللجنة المشتركة العليا المغربية الموريتانية.

4-9- الإحالة على التقاعد:

في 31 دجنبر 2013.

5- الإنتاج الفكري:

5-1- تقرير نهاية التدريب حول المؤسسات العمومية : المكتب الوطني للبريد والمواصلات نموذجا غشت 1990.

5-2- Rapport de stage sur la gestion du littoral de la basse Normandie Novembre 1990

5-3- بحث لنيل دبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية للإدارة العمومية حول موضوع "محو الأمية وعلاقته بالتنمية" دجنبر 1992.

5-4- المساهمة في إعداد معجم البريد والمواصلات المعد من قبل وزارة البريد والمواصلات سنة 1997.

5-5- محررات إدارية حول مواضيع متعددة.

5-6-المساهمة في المواد المشكلة لمحتوى الموقع الإلكتروني www.tamsomant.com

6- التوشيح :

وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الأولى بتاريخ 30 يوليوز 2013.

7- مختلفات:

الإحصاء ضمن المجندين في إطار الخدمة العسكرية الإجبارية مع تأجيل التنفيذ بسبب متابعة الدراسة.